أعلام الفقهاء والمحدثين

أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية

شيخ الإسلام

إعداد

الشيخ كامل محمد محمد عويضة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليُظهِره على الدين كله، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أما بعد: فإليك أيّها القارىء الكريم سيرة إمام من أئمة الدنيا علماً وهدًى، وهو القدوة الزاهد الربّاني شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه.

وأسأل الله الكريم أن يجعلني من عباده الصالحين المخلصين، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

كتبه

كامل محمد محمد عويضة
جمهورية مصر العربية ـ المنصورة
عزبة الشال ـ شارع جامع نصر الإسلام

١ سبتمبر ١٩٩١م ـ ٢٢ صفر ١٤١٢هـ

شيخ الاسلام احمد بن تيمية
(٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ)

١ ـ نسبه وولادته:

هو شيخ الإمام الربّاني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وقريع الدهر، شيخ الإسلام، وبحر العلوم، سيّد الحفّاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، وبركة الأنام، وعلّامة الزمان، وترجمان القرآن، عَلَم الزهّاد وأوحد العباد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين تقيّ الدين أبو العباس: أحمد بن الشيخ الإمام العلّامة شهاب الدين، أبي المحاسن عبد الحليم، بن الشيخ الإمام العلّامة، شيخ الإسلام، مجد الدين، أبي البركات: عبد السلام بن أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر، بن محمد بن الخضر، بن علي، بن عبد الله بن تيمية الحرّاني نزيل دمشق، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها[١].

قيل: إن جدّه محمد بن الخضر حجّ على درب تيماء، فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً فقال: يا تيمية،

---

(١) العقود الدريّة في مناقب ابن تيمية لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، ص ٤.

يا تيمية، فلقّب بذلك[1].

قال ابن النجّار: ذكر لنا أن جدّه محمداً كانت أُمه تيمية، وكانت واعظة، فنُسِب إليها وعُرِف بها[2].

ولد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بحرّان، يوم الاثنين عاشر ـ وقيل ثاني عشر ـ من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ من هجرة المصطفى ﷺ وسافر والده بالأسرة إلى الشام إلى جانب التتار، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة، لعدم الدواب، فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا. وقَدِمت الأُسرة إلى دمشق في عام سبع وستّين وستمائة[3].

٢ ـ طلبه للعلم:

لقد نشأ ابن تيمية في جحور العلماء، راشفاً كؤوس الفهم راتعاً في رِياض التفقّه ودوحات الكتب الجامعة لكل فنٍّ من الفنون، لا يلوي على غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصاً علم الكتاب العزيز والسنّة النبوية ولوازمها، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً سلفيّاً متألّهاً عن الدنيا تقيّاً، برّاً بأُمه، ورِعاً عفيفاً، زاهداً تقيّاً، عابداً ناسكاً، صوّاماً قوّاماً، ذاكراً الله

(١) العقود الدريّة، ص ٤.
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق ـ بتصرّف.

تعالى في كل أمر وعلى كل حال، راجعاً إلى كتاب الله، وسُنّة رسول الله ﷺ في سائر الأحوال والإفتاء، ملتزماً متمسّكاً بالكتاب والسُنّة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالمعروف، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا تملّ، ولا يدخلُ في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حُذّاق أهله. مقصوده الكتاب والسُنّة. ولقد قال ابن تيمية في بادىء أمره: إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكُل عليّ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحلّ إشكال ما أشكَل، قال: وأكون إذ ذاك، في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي[1].

وكان شيخ الإسلام رحمه الله في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمع به أحد في خَتْم أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ مع حداثة سنّه يتحدث فتجد لكلامه صولة على القلوب، وتأثيراً في النفوس، وهيبة مقبولة، ونفعاً يظهر أثره وتنفعل له النفوس التي سمعته أياماً كثيرة بعقبه، حتى كان مقاله بلسان حاله، وحاله ظاهر في مقامه[2].

قال الشيخ محمد بن أحمد الحنبلي: لم يبرح شيخنا رحمه

---

(١) العقود الدريّة من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٦.
(٢) المصدر السابق.

الله في ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال وبثّ العلم ونشره، والاجتهاد في سبيل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والإنابة والجلالة والمَهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفّة والصيانة، وحُسْن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له، وشدّة التمسّك بالأثر، والدعاء إلى الله وحُسْن الأخلاق، ونفع الخلق والإحسان إليهم والصبر على مَن آذاه، والصَفْح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير[١].

٣ ـ اكتشاف جديد في شخصية ابن تيمية:

عُرِفَ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بوجه عام ـ كعالِم متكلّم وفقيه جدلي، ومحدّث كبير، ولا يتخيله الدارسون لكتاباته العلمية ومؤلفاته الجدلية، أكثر من أنه كان عالماً ذكيّاً، واسع العلم، قوي الحجّة، غزير المادة. والذين عرفوه عن طريق التراجم التي كتبها عامّة المؤرّخين، أو قاسوه على تلاميذه المتأخرين والمنتسبين إليه[٢] لا يرون فيه شيئاً أكثر من محدّث جافّ، وعالِم متبحّر في

---

(١) العقود الدريّة، ص ٧.

(٢) عدا تلميذه النجيب الحافظ ابن قيّم الجوزية الذي بحث عن ناحية أستاذه الروحية الباطنة، في كتابه «مدارج السالكين» شرح «منازل السائرين» لشيخ الإسلام الهروي. وأثبت فيه، أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم كانا يحتلّان مكاناً عالياً في المعرفة والروحانية، والذوق الباطني.

العلوم الظاهرة، أما ما ذكره الحافظ ابن قيّم الجوزية في مدارج السالكين من أحواله وأقواله بمناسبات شتّى، وكذلك ما ذكره العلّامة الذهبي وأمثاله في ترجمته من أخلاقه وأذواقه، وعاداته وشمائله، وأشغاله وأعماله، فيدلّ دلالة واضحة على أن شيخ الإسلام ابن تيمية يستحق بكل جدارة أن يعدّ من العارفين ورجال الله في هذه الأمة، وهناك ينشرح كل صدر للاعتراف بأنه كان يتبوّأ تلك المكانة، ويتمتع بجميع تلك الغايات التي لا تتيسّر - بوجه عام - إلّا برياضات شاقّة، ومجاهدات طويلة، وتربية أئمة الفن، ودوام الذِكْر والمراقبة، وذلك ما يعبّر عنه الصوفية المتأخرون بالنسبة مع الله[1].

٤ - شيوخه:

سمع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي جزء ابن عرفة كله، ثم سمع من ابن أبي اليُسْر، والكمال بن عبد، والمجد بن عساكر، وأصحاب الخشوعي. ومن الجمال يحيى بن الصيرفي، وأحمد بن أبي الخير، والقاسم الأربُلّي. والشيخ فخر الدين بن البخاري، والكمال عبد الرحيم وأبي القاسم بن عيلان، وأحمد بن شيبان، وخلق كثير. وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ. وسمع الكتب الستّة الكبار والأجزاء. ومن مسموعاته

---

(١) ربانيّة لا رهبانيّة للشيخ أبو الحسن الندوي، ص ٧١، ٧٢.

معجم الطبراني الكبير، وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات[1].

وعُنِي بالحديث وقرأ ونسخ، وتعلّم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمهما وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كليّاً. حتى حاز فيه قصب السَبْق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك[2].

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة. فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه، وقوّة حفظه، وسرعة إدراكه.

٥ ـ مصنّفات شيخ الإسلام رحمه الله:

من هذه المصنّفات: ما جمعه في تفسير القرآن العظيم، وما جمعه من أقوال مفسّري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم. وذلك في أكثر من ثلاثين مجلداً. وقد بيّض أصحابه بعد ذلك. وكثيراً منه لم يكتبوه، وكان رحمه الله يقول: «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم. وأقول: يا معلّم آدم وإبراهيم علّمني. وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلّم إبراهيم فهّمني، ويذكر قصة معاذ بن جبل

---

(١) العقود الدريّة، من ص ٩ ـ ١١ باختصار.
(٢) المصدر السابق.

وقوله لمالك بن يُخامِر لمّا بكى عند موته وقال: «إني لا ابكي على دنيا كنت أصيبها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان مكانهما، مَن ابتغاهما وجدهما فاطلب العلم عند أربعة، فإن أعياك العلم عند هؤلاء فليس هو في الأرض، فاطلبه من معلّم إبراهيم»[١].

قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق ـ وكان من أخصّ أصحاب شيخنا وأكثرهم كتابة لكلامه وحرصاً على جمعه ـ: كتب الشيخ رحمه الله نقول السلف مجرّدة عن الاستدلال على جميع القرآن، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال، ورأيت له سوراً وآيات يفسّرها، ويقول في بعضها: كتبته للتذكّر! ونحو ذلك! ثم لما حبس في آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن [تفسيراً مرتّباً] على السور، فكتب يقول: إن القرآن فيه ما هو بيّن بنفسه وفيه ما قد بيّنه المفسّرون في غير كتاب، ولكن في بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنّف الكبير في آية واحدة تفسيراً، ويفسّر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل، لأنه أهمّ من غيره. وإذا تبيّن معنى آية تبيّن معاني نظائرها[٢].

وقال: قد فتح الله عليّ في هذه المرة من معاني القرآن ومن أُصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنّونها وندمتُ على

---

(١) العقود الدريّة، ص ٢١، ٢٢.
(٢) المصدر السابق.

تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن أو نحو هذا. وأرسل إلينا شيئاً يسيراً مما كتبه في هذا الحبس، وبقي شيء كثير من مسألة الحكم عند الحكّام مما أخرجوا كتبه من عنده، وتوفي وهو عندهم إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة. ثم ذكر الشيخ أبو عبد الله ما رآه ووقف عليه من تفسير الشيخ(١).

ومن مصنّفاته: «تفسير سورة الصمد، وجواب سؤال عن كلام الله تعالى هل يتفاضل؟» وكتاب «بيان تلبيس الجهميّة في تأسيس بِدَعهم الكلامية» في ست مجلدات، وبعض النسخ منه في أكثر من ذلك، وهو كتاب جليل المقدار معدوم النظير كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية وهتك أستارهم. ولو رحل طالب العلم لأجل تحصيله إلى الصين ما ضاعت رحلته. ومنها كتاب «منهاج السُّنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية» في ثلاث مجلدات، وبعض النسخ في أربع مجلدات، ردّ فيها على ابن المطهر الرافض، وبين جهل الرافضة وضلالتهم، وكذبهم وافتراءهم. ومنها كتاب «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» في أربع مجلدات وبعض النسخ منه في أقل. وهو كتاب عزيز الفوائد سهل التناول. ومنها كتاب الردّ على النصارى سمّاه «الجواب الصحيح لمَن بدّل دين المسيح» في مجلدين، وبعض النسخ منه في ثلاث مجلدات وبعضها في أكثر ـ وكذلك كثير من كتبه الكبار تختلف النسخ بها(٢).

---

(١) المصدر السابق.
(٢) العقود الدريّة، ص ٢٢، ٢٣.

وهذا الكتاب من أجلّ الكتب وأكثرها فوائد فهو يشتمل على تفسير آيٍ كثير من القرآن، وعلى غير ذلك من المهمات. ومنها كتاب «الإيمان» في مجلد، وهو كتاب عظيم لم يسبق إلى مثله. ومنها كتاب «الاستقامة» في مجلدين، وهو من أجلّ الكتب وأكثرها نفعاً، ومنها كتاب تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل في مجلد، وهو من أحسن الكتب وأكثرها فوائد، قال في خطبته:

«الحمد لله العليم القدّيس، الخالق، اللطيف، الخبير الرزّاق، السميع، البصير، الحليم، الصادق، العليّ، الكبير الذي يسنّ المناهج والشرائع ويبيّن الطرائق وينصب الأعلام الطوالع لكشف الحقائق، وينزل الآيات والدلائل لبيان الجوامع والفوارق، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. أحمده ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وشكراً له على نِعَمه السوامق. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ربّ المشارق والمغارب. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الخوارق، الموضح لسبيل الحق في الجلائل والدقائق، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم صلاةً وتسليماً باقيين ما بقيت الخلائق»[1].

«أما بعد فإن الله سبحانه علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق وتباين العقول والأخلاق حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر، وابتلعوا بتشعّب الأفكار والخواطر، فبعث الله

---

(١) العقود الدريّة، ص ٢٣.

الرُّسُل مبشّرين ومنذرين، ومبيّنين للإنسان ما يضلّه ويهديه، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمرهم بالاعتصام به حذراً من التفرّق في الدين، وحضّهم عند التنازع على الردّ إليه وإلى رسوله الأمين. وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العلمية، لخفاء مدركها، وخفّة مسلكها، وعدم إفضائها إلى بليّة. وحضّهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة، حيث يقول لمَن رضي دينهم: ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[١]، كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة، لمَن عدل عن السبيل العادلة، حيث يقول، آمراً وناهياً لنبيّه وللمؤمنين، لبيان ما يرضاه منه ومنهم ﴿ **وجادلهم بالتي هي أحسن إلّا الذين ظلموا منه** ﴾[٢]. فكان أئمة الإسلام ممتثلين لأمر المليك العلّام، يجادلون أهل الأهواء المُضلّة، حتى يردّوهم إلى سواء المِلّة، كمجادلة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج المارقين، حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين. وكمناظرة كثير من السلف الأوّلين لصنوف المبتدعين، ومَن في قلبه ريب يخالف اليقين، حتى هدى الله مَن شاء من البشر، وأعلن الحق وظهر، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر[٣].

وكانوا يتناظرون في الأحكام ومسائل الحلال والحرام بالأدلّة المرضية، والحجج القوية، حتى كان قلّ مجلس يجتمعون عليه

---

(١) الشورى، آية: ٣٨.
(٢) النحل، آية: ١٢٥.
(٣) العقود الدريّة، ص ٢٤.

إلا وظهر الصواب ورجع راجعون إليه لاستدلال المستدلّ بالصحيح من الدلائل وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. كمجادلة الصديق لمَن نازعه في قتال مانِعي الزكاة حتى رجعوا إليه، ومناظرتهم في جمع المصحف حتى اجتمعوا عليه وتناظرهم في حدّ الشارب وجاحد التحريم حتى هدوا إلى الصراط المستقيم وهذا وأمثاله يجلّ عن العدّ والإحصاء فإنه أكثر من نجوم السماء[١].

ثم صار المتأخرون بعد ذلك قد يتناظرون في أنواع التأويل والقياس بما يؤثّر في ظن بعض الناس وإن كان عند التحقيق يؤول إلى الإفلاس لكنهم لم يكونوا يقبلون من المناظرة إلا ما يفيد، ولو ظنّا ضعيفاً للناظر واصطلحوا على شريعة من الجدل للتعاون على إظهار صواب القول والعمل، ضبطوا بها قوانين الاستدلال لتسلم عن الانتشار والانحلال، فطرائقهم وإن كانت بالنسبة إلى طرائق الأوّلين غير وافية بمقصود الدين لكنها غير خارجة عنها بالكليّة ولا مشتملة على ما لا يؤثّر في القضية، وربما كسوها من جودة العبارة، وتقريب الإشارة، وحُسْن الصياغة، وصنوف البلاغة ما يجليها عند الناظرين، وينفِّقها عند المتناظرين، مع ما اشتملت عليه من الأدلة السمعية، والمعاني الشرعية، وبنائها على الأصول الفقهية والقواعد الشرعية، والتحاكم فيها إلى حاكم الشرع الذي لا يعزل. وشاهد العقل المزكّى المعدّل[٢].

---

(١) انظر العقود الدريّة، ص ٢٤.
(٢) انظر المصدر السابق.

وبالجملة لا تكاد تشتمل على باطل محض ومكر صِرْف، بل لا بدّ فيها من مُحيل للحق ومشتمل على عُرْف.

ثم إن بعض طلبة العلوم من أبناء فارس والروم، صاروا مولعين بنوع من جدل المموّهين، استحدثه طائفة من المشرقيين، وألحقوه بأصول الفقه في الدين، راوغوا فيه مراوغة الثعالب، وحادوا فيه عن المسلك اللاحب وزخرفوه بعبارات موجودة في كلام العلماء قد نطقوا بها، غير أنهم وضعوها في غير مواضعها المستحقة لها، وألّفوا الأدلّة تأليفاً غير مستقيم، وعدلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم، غير أنهم بإطالة العبارة وإبعاد الإشارة واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية في المقدمات، ووضع الظنيّات موضع القطعيات، والاستدلال بالأدلة العامّة حيث ليست لها دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين مع الإحالة والإطالة وذلك من فعل غالط، ومغالط للمجادل، وقد نهى النبيّ ﷺ عن أُغلوطات المسائل، فنفق ذلك على الأغتام الطماطم، وراج رواج البهرج على الغرّ العارم، واغترّ به بعض الأغمار الأعاجم. حتى ظنوا أنه من العلم بمنزلة الملزوم من اللازم، ولم يعلموا أنه والعلم المقرّب من الله متعاندان، متنافيان، كما أنه والجهل المركّب متصاحبان متآخيان[1]. فلما استبان لبعضهم أنه كلام ليس له حاصل لا يقوم بإحقاق حق ولا إبطال باطل، أخذ يطلب كشف مشكله وفتح مقفله، ثم إبانة عِلله وإيضاح زلله، وتحقيق خطئه وخطله. حتى يتبيّن أن سالكه يسلك

(١) العقود الدريّة، ص ٢٥، ٢٦.

في الجدل مسلك اللَّدَدِ، وينأى عن مسالك الهدى والرشد. ويتعلق من الأصول بأذيال لا توصل إلى حقيقة، ويأخذ من الجدل الصحيح رسوماً يموِّه بها على أهل الطريقة. ومع ذلك فلا بدّ أن يدخل في كلامهم قواعد صحيحة، ونكت من أصول الفقه مليحة. لكنهم إنما أخذوا ألفاظها ومبانيها، دون حقائقها ومعانيها، بمنزلة ما في الدرهم الزائف من العين. ولولا ذلك لما نفق على مَن له عين[1].

فلذلك آخذ في تمييز حقه من باطله، وحاليه من عاطله، بكلام مختصر مرتجل، كتبه كاتبه على عجل. والله الموفّق لما يحبّه ويرضاه ولا حول ولا قوة إلا بالله». انتهت خطبة هذا الكتاب.

ومن مصنّفاته أيضاً: كتاب «بيان الدليل على بطلان التحريم».

وكتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول».

وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم».

وكتاب «تحرير الكلام في حادثة الأقسام». وسمّاه بعضهم! كتاب «التحرير في مسألة حقير».

وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

وكتاب «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة».

---

(١) انظر المصدر السابق.

وكتاب «تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس».

وكتاب «التحفة العراقية في الأعمال القلبية».

وكتاب «مسائل الإسكندرية في الردّ على الملاحدة والاتّحادية»، وتعرف «بالسبعينية» لاشتمالها على الرد على ابن سبعين وأضرابه.

وكتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

وكتاب «فضائل القرآن».

وكتاب «أقسام القرآن».

وكتاب «أمثال القرآن».

وهذه المصنّفات بعضها مجلد كبير وبعضها مجلد صغير.

وله كتاب في الردّ على المنطق «مجلد كبير».

وله مصنّفان آخران في الردّ على المنطق نحو مجلد.

وله كتاب في محنته بمصر، مجلّدان، ردّ فيه على القائلين بالكلام النفسي من نحو ثمانين وجهاً.

وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك، وإذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة منها ما بُيّض ومنها ما لم يُبيّض، فمن مؤلفاته في ذلك:

الكيلانية، والبغدادية، والقادرية، والأزهرية، والبعلبكية، والمصرية.

وله في الردّ على الفلاسفة مجلدات وقواعد أملاها مفردة غير ما تضمنته كتبه منها:

«إبطال قولهم بإثبات الجواهر العقلية».

ومنها: «إبطال قولهم بقِدَم العالم وإبطال ما احتجّوا به»، ومنها: «إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلّا واحد».

وله كتاب في الوسيلة، مجلّد.

وكتاب «الردّ على البكري في الاستغاثة» مجلّد.

وكتاب «شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين»، مجلّد لطيف.

وكتاب «شرح عقيدة الأصبهاني»، يسمّى الأصبهانية.

وكتاب شرح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب الأربعين للفخر الرازي أكثر من مجلدين.

وكتاب يُعرَف بالصفدية في الردّ على الفلاسفة في قولهم إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية وفي إبطال قولهم بقِدَم العالم.

وله كتاب «شرح أول المحصل»، مجلّد.

وكتاب «الردّ على أهل كسروان الرافضة». مجلّدان.

يسمّى «الهلاونية». وهو جواب سؤال ورد على لسان هولاكو، ملك التتار. مجلد.

وله في الردّ على مَن قال: إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، عدّة مصنفات. وله في الردّ على مُنكِري المعاد قواعد كثيرة.

وله تعليقة على كتاب «المحرّر في الفقه»، لجدّه الشيخ مجد الدين في عدّة مجلدات، وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب «العمدة في الفقه»، للشيخ موفّق الدين، في مجلدات.

وله قواعد كثيرة في فروع الفقه لم تبيّض بعد، ولو بُيِّضت كانت مجلدات عدّة، وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه الفروعية وبوّبها على أبواب الفقه في مجلدات كثيرة تُعرَف بالفتاوى المصرية سمّاها بعضهم «الدّرر المضيئة من فتاوى ابن تيمية». وله مؤلفات في صفة حج النبيّ ﷺ والجمع بين النصوص في ذلك والكلام في متعة الحج والعمرة المكيّة وما يتعلق بذلك وطواف الحائض أكثر من مجلدين.

وله مصنفات في زيارة القبور، وهل تُباح للنساء؟ والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية، وفي المشاهد: متى حدثت؟ وفي النذر لها، وفي المشهد المنسوب للحسين رضي الله عنه. وفي قبر عليّ رضي الله عنه وغير ذلك عدّة مجلدات.

وله في مسألة شدّ الرِحال ولوازمها ـ التي حُبِسَ ومات في السجن بسببها ـ شيء كثير، بيّض منه مجلدات كثيرة.

وله في الطلاق ومسائل الخلع وما يتعلق بذلك من الأحكام شيء كثير ومصنّفات عديدة. بيّض الأصحاب من ذلك كثيراً وكثير منه لم يبيّض ومجموع ذلك نحو العشرين مجلداً.

وله قواعد كثيرة في سائر أنواع العلوم، منها: قاعدة في الصفات والقدر تسمّى «تحقيق الأثبات للأسماء والصفات».

وحقيقة القدر بين الجمع والشرع. وهي المعروفة بالتدمرية.

وقاعدة في أن مخالفة الرسول ﷺ لا تكون إلا عن ظنٍّ واتّباع هوى.

وقاعدة في أن التوحيد والإيمان يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة.

وقاعدة في إثبات كرامات الأولياء.

وقاعدة في أن خوارق العادات لا تدلّ على الولاية.

وقاعدة في الصبر والشكر.

وقاعدة كبيرة في الرضا.

وقاعدة في الشكر والرضا.

وقاعدة في أن كل آية يحتجّ بها مبتدع فيها دليل على فساد قوله.

وقاعدة في أن كل دليل عقلي يحتجّ به مبتدع فيه دليل على بطلان قوله.

وقاعدة في الخلوات، وما يلقيه الشيطان لأهلها من الشبه. والفرق بين الخلوة الشرعية والبِدعية.

وقاعدة في الفقراء والصوفية، أيّهم أفضل؟

وقاعدة في الفقير الصابر والغني الشاكر، أيّهما أفضل؟

وقاعدة في أهل الصُّفَّة ومراتبهم وأحوالهم.

وقاعدة كبيرة في محبة الله للعبد ومحبّة العبد لله.

وقاعدة في الإخلاص والتوكّل.

وقاعدة في الإخلاص وتقديره بالعقل.

وقاعدة في الشيوخ الأحمدية وما يُظهرونه من الإشارات.

وله قواعد وأجوبة في تحريم السماع أكثر من مجلدين.

وقاعدة في شرح أسماء الله الحسنى.

وقاعدة في الاستغفار وشرحه وأسراره.

وقاعدة في أن الشريعة والحقيقة متلازمان.

وقاعدة في الخُلَّة والمحبّة، أيّهما أفضل؟

وقاعدة في العلم المحكم.

وقواعد وأجوبة في خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

وقاعدة في وجوب نصيحة أولي الأمر والدعاء لهم.

وقاعدة في أحوال الشيخ يونس الغيبي والشيخ أحمد بن الرفاعي.

وقواعد وأجوبة في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وقاعدة في الاستطاعة، هل هي مع الفعل أو قبله؟

وقاعدة في العدم واستطاعته.

وقاعدة في وجوب العدل على كل أحد، لكل أحد، في كل حال.

وقاعدة في فضل السلف على الخلف في العلم.

وقاعدة في حق الله وحق رسوله وحقوق عباده، وما وقع في ذلك من التفريط.

وقاعدة في أن مبدأ العلم الإلّهي عند النبي ﷺ هو الوحي، وعند أتباعه هو الإيمان.

وقاعدة في أن الحمد والذمّ والثواب والعقاب بـالجهاد

والجدّ، وأنها إنما تتعلق بأفعال العباد لا بأنسابهم.

وقاعدة في أن لكل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بدّ أن يكون بكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ.

وقاعدة فيما لكل أمة من الخصائص، وخصائص هذه الأمة.

وقاعدة في الكليّات.

وقاعدة في الفناء والاصطلام.

وقاعدة في العلم والحلم.

وقاعدة في الاقتصاص من الظالم بالدعاء وغيره، وهل هو أفضل أم العفو؟

وله قاعدتان في قرب الرب من عابِديه وداعِيه.

وقاعدة في تزكية النفس.

وقاعدة على كلام ابن العريف في التصوّف.

وقاعدة في الصراط المستقيم في الزهد والورع.

وقاعدة في الإيمان والتوحيد، وبيان ضلال مَن ضلّ في هذا الأصل.

وقاعدة في أمراض القلوب وشفائها.

وقاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة.

وقاعدة في خلَّة إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنه الإمام المطلق.

وقواعد عدّة في الشهادتين.

وقواعد كثيرة فيمن امتحن في الله وصبر.

وقاعدة في الصبر والصفح الجميل والهجر الجميل.

وقاعدة فيما يتعلق بالوسيلة بالنبيّ ﷺ والقيام بحقوقه الواجية على أمته في كل زمان ومكان. وبيان خصائصها التي امتاز بها على جميعِ العالمين. وبيان فضل أمته على جميع الأمم.

وقاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم.

وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى في إرسال محمد ﷺ وأن إرساله أجلّ النِعَم.

وقاعدة في الشكر لله وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية.

وقاعدة في المقرّبين هل يسألهم منكر ونكير؟

وقاعدة في الفتوة الاصطلاحية وأنه ليس لها أصل في الأحكام الشرعية.

وقاعدة في الكلام على «المرشدة» التي ألّفها ابن تومرت. وله أجوبة تتعلق بها أيضاً.

وقاعدة في كلام الجنيد لمّا سُئِلَ عن التوحيد فقال: «هو إفراد الحدوث عن القِدَم».

وقاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل.

وقاعدة في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته.

وقاعدة في الكلام.

وقاعدة في الكلام على قوله تعالى: ﴿ **يا أيّها الناس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم** ﴾ الآية[1] تسمّى العبودية وهي جليلة القدر.

وقاعدة فيما أحدثه الفقراء المجرّدون.

---

(١) البقرة، آية: ٢١.

وقاعدة في القدرية وأنهم ثلاثة أقسام: مجوسية ومشركية وإبليسية.

وقاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية وما بينهما وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية.

وقاعدة في وصية لقمان لابنه.

وقاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها: هل هو بلسان الحال، أم لا؟

وقاعدة تُعرَف بالصعيدية تتعلق بالثنوية.

وقاعدة في لباس الخرقة: هل لـه أصل شـرعي؟ وفي الأقطاب ونحوهم.

وقاعدة في القضايا الوهمية.

وقاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى.

وقاعدة في الخلطة والعزلة.

وقاعدة في مشايخ العلم، ومشايخ الفقراء: أيّهم أفضل؟

وقاعدة في تعذيب المُريد بذنب غيره.

وقاعدة في قوله ﷺ: «ستفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[1].

وقاعدة في أن جماع الحسنات: العدل، وجماع السيئات: الظلم، ومراتب الذنوب في الدنيا.

وقاعدة في أن الحسنات تعلّل بعلّتين: جلب المنفعة ودفع المضرّة والسيئات بالعكس.

---

(١) رواه أبو داود في السُنّة، وأحمد في المسند ٢/٣٣٢.

وقاعدة في فضائل عشر ذي الحجة.

وقاعدة في رسالة النبي ﷺ إلى الجنّ والإنس.

وقاعدة في أن جميع البِدَع ترجع إلى شعبة من شعَب الكفر.

وقواعد في الكلام على السُنّة والبِدعة وأن كل بِدعة ضلالة.

وقاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام.

وقاعدة كبيرة في أصول الفقه، غالبها نقل أقوال الفقهاء.

وقاعدة فيما يظن من تعارض النص والإجماع.

وقواعد فقهية في مسائل من النذور، والإيمان، ونكاح الشغار وما يستقر به المهر ونحو ذلك، مجلد.

وقواعد في المغالبات وما يحلّ من الرهن وهل يفتقر إلى محلّل؟ مجلد.

وقواعد في المائعات والمياه وأحكامها وفي الميتة إذا وقعت في المائعات والكلام على حديث القلّتين وما يتعلق بذلك شيءٌ كثير.

وقواعد في الوقف وشروط الواقفين، وما يعتبر منها وفي إبداله بأجود منه وفي بيعه عند تعذّر الانتفاع ونحو ذلك أكثر من مجلد.

وقاعدة كبيرة في تفضيل مذهب الإمام أحمد وذِكْر محاسنه نحو مجلد.

وقاعدة في تفضيل مذهب أهل المدينة تسمّى «المالكية».

وقواعد في الاجتهاد والتقليد، وفي الأسماء التي علّق الشّارع بها الأحكام. مجلد.

وقواعد في المجتهد في الشريعة: هل يأثم إذا أخطأ الحق؟ وهل المصيب واحد؟ ونحو ذلك أكثر من مجلد.

وقاعدة في الإحسان.

وقاعدة في شمول النصوص للأحكام.

وقاعدة في تقرير القياس في مسائل عدّة، والردّ على مَن يقول: هي على خلاف القياس.

وقاعدة في شرح رسالة ابن عبدوس، وهي متضمنة لكلام الإمام أحمد في أصول الدين.

وقاعدة في لعب الشطرنج وأنه حرام.

وقواعد كثيرة في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر، هل له حدّ؟ وفي الجمع بين الصلاتين، وفي ذوات الأسباب هل تصلّى في وقت النهي. وفي مواقيت الصلاة؟ وفي أن أول ما يحاسب به العبد الصلاة. وفي تارك الصلاة، وتفصيل القول فيه. وفي أن الصلاة أول الأعمال. وفي تارك الطمأنينة، وذلك شيء كثير جداً.

وقواعد في الكنائس وأحكامها، وما يجوز هدمه منها وإبقاؤه، وما يجب هدمه. وأجوبة تتعلق بذلك نحو مجلدين.

وقواعد في رجوع المغرور على مَن غرّه. وفي استقرار الضمان. وفي بيع الغرور والشرط في البيع والنكاح وغير ذلك نحو مجلد.

وقاعدة في فضائل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل إمام من الفضيلة.

وقاعدة في مقدار الكفّارة في اليمين.

وقاعدة في لفظ الحقيقة والمجاز. وفي العام إذا خصّ هل يكون حقيقة أو مجازاً؟ والبحث مع السيف الآمدي في ذلك.

وقاعدة كبيرة في أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه.

وقاعدة في طهارة بول ما يؤكل لحمه ذكر فيها نحو ثلاثين حجّة على ذلك.

وقاعدة في تطهير العبادات النفس من الفواحش والمنكرات.

وقواعد وأجوبة في تحريم نكاح الزانية.

وقاعدة في معاهدة الكفّار المطْلقة والمقيدة.

وقاعدة في مُفطِرات الصائم.

وقاعدة فيما شرعه الله تعالى بوصف العموم والإطلاق هل يكون مشروعاً بوصف الخصوص والتقييد؟

وقاعدة في أن العامّي هل يجب عليه تقليد مذهب معين أم لا؟

وقاعدة في تعليق العقود والفسوخ بالشرط.

وقاعدة في الجهاد والترغيب فيه.

وقاعدة في ذمّ الوسواس.

وقاعدة في الأنبذة والمُسكِرات.

وقاعدة في الحسبة.
وقاعدة في المسألة السريجية.
وقاعدة في حلّ الدور ومسائل الجبر والمقابلة.
وقاعدة في أن كل صالح أصله اتّباع النبيّ ﷺ.
وقاعدة في الأطعمة وما يحلّ منها، وما يحرّم، وتحرير الكلام على الطيّبات والخبائث.
وقاعدة في اشتراط التسمية على الذبائح والصيد.
وقاعدة في دم الشهداء ومداد العلماء تتضمن أيّ الطائفتين أفضل.
وقاعدة في الانغماس في العدو، وهل يُباح؟
وقاعدة في ضمان البساتين، هل يجوز أم لا؟
وله قواعد في النهي، هل يقتضي فساد المنهي عنه؟
وقاعدة في زكاة مال الصبي.
وقاعدة في الإيمان المقرون بالإحسان وفي الإحسان المقرون بالإسلام.
وقاعدة في اقتران الإيمان بالاحتساب.

وقاعدة وأجوبة في النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة. وفي الكسوف، هل يقبل قول النجمين فيه؟ وفي رؤية الهلال ونحو ذلك نحو مجلد.

وقاعدة في الأقراء، هل هي الحيض، أو الأطهار؟ واختار أنها الحيض.
وقاعدة في الشُّكر وأسبابه وأحكامه.

وقاعدة في الاستفتاحات في الصلاة.

وقاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابّه. وهي القرمانية.

وقاعدة تتعلق بمسائل من التيمّم والجمع بين الصلاتين تسمّى «تيسير العبادات لأرباب الضرورات».

وقاعدة في النصيرية وحكمهم.

وقاعدة في تحريم الشبابة.

وقاعدة في العقود اللازمة والجائزة.

وله قاعدة جليلة في وجوب الاعتصام بالرسالة وأن كل خير في العالم فأصله متابعة الرُّسل وكل شرّ فمن مخالفتهم: إما جهلاً أو عمداً.

وقاعدة في تخريب القرآن وما يتعلق بذلك وما ورد فيه من الآثار.

وقاعدة في الكلام على الممكن.

وقاعدة في ذبائح أهل الكتاب.

وقاعدة في تعليل الأفعال.

وقاعدة في الكلام على العدد.

وله رسائل تشتمل على علوم كثيرة منها:

رسالة كتبها إلى الشيخ نصر المنبجي، تسمّى المصرية.

ورسالة كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدباهي، تسمّى المدنية.

ورسالة كتبها إلى أهل بغداد.

ورسالة كتبها إلى أهل البصرة.

ورسالة كتبها إلى القاضي شمس الدين السروجي قاضي الحنفية بمصر.

ورسالة إلى غيره من القضاء والعلماء.

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عديّ بن مسافر، تسمّى العدوية.

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ جاكير، وأرسل إليهم أجوبة في مجلد غير الرسالة.

ورسالة كتبها إلى بيت ملك قبرص في مصالح المسلمين تتضمن علوماً نافعة.

وله رسائل إلى البحرين وإلى ملوك العرب وإلى ثغور الشام: إلى طرابلس وغيرها بمصالح تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ورسالة لأهل تدمر.

ورسالة إلى طبرستان وجيلان.

ورسائل للملوك! ملك مصر وملك حماة وغيرهما.

ورسائل إلى الأمراء الكبار.

ورسائل كثيرة كتبها إلى الصلحاء من إخوانه: من مصر إلى دمشق، ومن دمشق إلى غيرها.

ومن السجن شيء كثير يحتوي على مجلدات عدّة.

وله من الكلام على مسائل العلو والاستواء والصفات

الخبرية وما يتعلق بذلك من الردّ على الجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم من أهل الأهواء والبِدَع ما يشتمل على مجلدات كثيرة.

وله من الكلام على فروع الفقه والأجوبة المتعلقة بذلك شيء كثير، يشقّ إحصائه ويعسر ضبطه.

ومن مؤلفاته: الكلام على دعوة ذي النون في مجلد لطيف.

وكتاب فيه الكلام على إرادة الرب تعالى وقدرته وتحرير القول في ذلك على كلام الرازي في المطالب العالية.

ومسألة في العلوّ أجاب فيها عن شبه المخالفين وهي مفيدة، وأخرى في الصفات تسمّى المراكشية وتشتمل على نقول كثيرة.

وقاعدة تتضمن صفات الكمال وما الضابط فيها وما يستحقّه الرب تعالى تسمّى الأكملية، والإحاطة الكبرى، والإحاطة الصغرى، وعقيدة الفرقة الناجية وتُعرَف بالواسطية.

والجواب عمّا أورد عليها عند المناظرة بقصر الإمارة بدمشق.

والكلام على حديث عمران بن حُصين الذي فيه «جئنا نسألك عن أول هذا الأمر» وهو مؤلّف مفيد.

والكلام على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر، وهل هو ثابت أم لا؟ وأيّ ألفاظه هو المحفوظ؟

وكتاب في نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا.

والجواب على اختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع.

وجواب في اللقاء وما ورد في القرآن وغيره.

وجواب في الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا؟ تسمى الأربلية.

وجواب في الاستواء وإبطال قول مَن تأوّله بالاستيلاء من نحو عشرين وجهاً ومسألة في المباينة بين الله وبين خلقه.

وله أجوبة أُخَر في مباينة الله لخلقه وفيمن يقول: إنه سبحانه على عرشه بذاته، وأقوال السلف في ذلك.

وله مسائل كثيرة في الأفعال الاختيارية المسمّاة عند بعض المتكلمين: بحلول الحوادث.

منها كلام مفرد على كلام الرازي في الأربعين.

وله مسائل وأجوبة في مسألة القدر والردّ على القدرية وعلى الجبرية أكثر من مجلد.

وله مسألة في محل الشعر والعلوم وغيرها، هل هو واحد أو متعدّد؟

وله درس السكّرية بالبسملة، جزء.

ودرس الحنبلية في قوله تعالى: ﴿ **ما كان المؤمنون لينفروا كافّة** ﴾[1]، جزء حسن.

ومسألة فيمن يدّعي أن القرآن باطنٌ إلى سبعة أبطن.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

ومسألة في عقل الإنسان وروحه.
والحلبية في الصفات، وهل هي زائدة على الذات أم لا؟
والردّ على ابن سينا في رسالته الأصحوية، نحو مجلد.
وجواب في العزم على المعصية، هل يعاقب عليه العبد؟
وجواب على حزب الشاذلي وما يشبهه، مجلد لطيف.
وجواب في الكفّار من التتر وغيرهم، وهل لهم خفراء بقلوبهم لهم تأثير؟
وله شرح على كلام الشيخ عبد القادر في غير واحد نحو مجلد.

وقاعدة في قوله تعالى: ﴿ **ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون** ﴾[1]، وقول النبيّ ﷺ: «لن يدخل أحد منكم الجنّة بعمله».

وله جواب في يزيد بن معاوية، وهل يجوز سبّه أم لا؟
وله قاعدة في فضل معاوية.
وجواب في الخضر هل مات أو هو حيّ؟ واختار أنه مات.
وله جواب في أن الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل. واحتجّ لذلك بأدلّة كثيرة.
وجواب في زيارة القدس يوم عرفة للتعرّف به.
وله أجوبة كثيرة في هذا المعنى.
وجواب في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة.
وجواب فيمن عزم على فعل محرّم ثم تاب.

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٢.

وجواب في الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية.

وجواب في قوله ﷺ: «مَن قال أنا خير من يونس بن متّى فقد كـذب».

وجواب في التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره، أيّ ذلك أفضل؟

وجواب في غضّ البصر وحفظ الفرج.

وجواب في المعيّة وأحكامها.

وله في مسائل الروح، وهل تعذّب في القبر مع الجسد؟ وهل تفارق البدن بالمـوت؟ وهل تتصـور بصورة وتعقـل بعد الموت؟ ونحو ذلك مجلد.

وله جواب: هل كان النبيّ ﷺ قبل الرسالة نبيّاً؟ وهل يسمّى مَن صحبه إذ ذاك صحابياً؟

وجواب: هل كان النبيّ ﷺ قبل الوحي متعبّداً بشرع مَن قبله من الأنبياء؟

وله جواب في كفر فرعون، والردّ على مَن لم يكفّره.

وجواب في ذي الفقار هل كان سيفاً لعليّ رضي الله عنه؟

وله قواعد وأجوبة في الإيمان، هل يزيد وينقص؟ وما يتبع ذلك. نحو مجلد.

وله جواب في عقيدة الأشعرية، وعقيدة الماتُريدي وغيره من الحنفية، تسمّى الماتريدية.

وله عقيدة تسمّى الحوفية.

وله أجوبة في العرش والعالم، هل هو كرويُّ الشكل أم لا؟

وفي قصد القلوب العلوّ، ما سببه.

وله في الكلام على توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا مجلد لطيف.

وله جواب محي الدين الأصبهاني في عدّة كراريس.

وله جواب في الفرق بين ما يتأوّل من النصوص وما لا يتأوّل.

ومسألة في قوله: «أُمرت أن أُخاطب الناس على قدر عقولهم» هل هو كلامه ﷺ.

وقاعدة في الردّ على أهل الاتحاد.

وله مؤلّف في الردّ على ابن عربي.

وجواب على حال الحلاج ورفع ما وقع فيه من اللجاج.

وله مسائل وقواعد في الاستغاثة، غير ما تقدّم ذكره.

وجواب في الرضا على كلام أبي سليمان الدّاراني.

وجواب في رؤية النساء ربّهم في الجنة، سأله عنه الشيخ إبراهيم الرقّي رحمه الله.

وجواب في العبّاس وبلال رضي الله عنهما: أيّهما أفضل؟

وجواب في الكتاب الذي همّ به النبيّ ﷺ في مرضه.

وجواب فيمن يقول: إن بعض المشايخ أحيا ميتاً.

وله أجوبة في مسألة وردت من أصبهان.

وجواب عن مسائل وردت من الأندلس.

وجواب عن سؤال ورد من الرحبة.

وجواب عن سؤال ورد من ماردين.

وجواب عن سؤال ورد من أزْرَع.

وأجوبة كثيرة عن مسائل وردت من الصَّلت.

وجواب في أرض الموات إذا أحياها الرجل، ثم عادت مواتاً: هل تملك بالإحياء مرة أخرى؟

وله وصايا عدة يسأل عنها؟

وكتبٌ منها: وصيّة لابن المهاجري في كراريس.

ووصية كتبها للتَّجيبي.

وله إجازاتٌ، منها:

إجازة لأهل سِبتة ذكر فيها مسموعاته.

وإجازة كتبها لبعض أهل توريز.

وإجازة لأهل غرناطة.

وإجازة لأهل أصبهان.

وله قواعد وأجوبة في الفقه كثيرة جداً. منها:

قاعدة في الجمعة؛ هل يشترط لها الاستيطان؟

وقاعدة في المسح على الخفّين، وهل يجوز على المقطوع؟

وقاعدة في حلق الرأس، هل يجوز في غير النسك لغير عذر؟

وقواعد في الاستجمار، وفي الأرض، هل تطهر بالشمس والريح؟

وقواعد في نواقض الوضوء، وفي المحرّمات في النكاح.

وقاعدة في الجَدِّ، هل يُجبر البكر على النكاح، وفي الاستئذان من الأب، هل يجب؟

وجواب في المظالم المشتركة وأحكامها.

وجواب عن أهل البِدَع، هل يصلّى خلفهم؟

ومسائل وأجوبتها في قتال التتار الذين قَدِموا مع قازان وغيره وفي قتال أهل البيعات من النصارى، ونصارى ملطية، وقتال الأحلاف والمحاربين نحو مجلد.

وقاعدة في قوله ﷺ: «استحللتم فروجهنّ بكلمة الله»(١).

وقاعدة في العِيْنَةَ والتورُّق، ونحوهما من المبيعات.

وقاعدة في القراءة خلف الإمام.

وقاعدتان في قوله ﷺ: «مَن بَكّر وابتكر، وغسّل واغتسل» (٢).

وأجوبة في الصلوات المبتدعة، كصلاة الرغائب، ونصف شعبان ونحو ذلك.

وأجوبة في النهي عن أعياد النصارى، وعمّا يفعل من البِدَع يوم عاشوراء نحو مجلد.

وله مسألة في أن الجدّ يُسقط الأخوة؟

وقاعدة في توريث ذوي الأرحام.

ومسألة في بيع المسلم فيه قبل قبضه، هل يجوز؟

---

(١) رواه مسلم في الحج ١٤٧، وأبو داود في المناسك ٥٦، وابن ماجة في المناسك ٨٤، والدارمي في المناسك ٣٤، وأحمد في المسند ٥/٧٣.

(٢) رواه أبو داود في الطهارة ١٢٥، ١٢٧، والترمذي في الجمعة ٤، والنسائي في الجمعة ١٠، ١٢، ١٩، وابن ماجه في الإقامة ٨٠، والدارمي في الصلاة ١٩٥، وأحمد في المسند ٣/٢٠٩، ٤/٨، ٩، ١٠، ١٠٤.

وله أجوبة في رؤية هلال ذي الحجّة إذا رآه بعض الناس، ما حكمهم في الأضحية؟

وفي قوله: «صومكم يوم تصومون» وفيما إذا غُمَّ هلال رمضان ليلة الثلاثين، هل يجب الصوم أم لا؟

وجواب في الإجارة، هل المعقود عليه تهيؤ العين وصلاحيتها لنفع المستأجر؟ وهل ما يحدث في العين على ملكه؟ وهل هي على وفق القياس؟

وله قاعدة في أن ما كان داعياً إلى الفرقة والاختلاف يجب النهي عنه.

وجواب في التسمية على الوضوء.

وقواعد في سباق الخيل ورمي النشّاب.

وقواعد وأجوبة في النيّة في الصلاة، وغير ذلك من العبادات.

وأجوبة في صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض، وأنه جائز.

وجواب فيمن تَفَقَّه على مذهب ثم يجد حديثاً صحيحاً بخلاف مذهبه.

وجواب فيمن يقول: أنا مذهبي غير موافق للأربعة.

وجواب فيمن يقول: مَن لا شيخ له فشيخه الشيطان.

وجواب في المخلوقة من ماء الزاني، هل له أن يتزوج بها؟

وجواب في صلاة الركعتين جالساً بعد الوتر.

وجواب عن المرازنة وما يفعلونه من أعمال؛ والردّ عليهم

فيما أخطأوا فيه.

وقاعدة في الحمّام والاغتسال.

وقاعدة في الصلاة بين الأذانين يوم الجمعة.

وجواب في قوله: «خير القرون الدوارس».

وجواب في نصرانية ماتت وفي بطنها ولد من مسلم.

وجواب في امرأة مسلمة ماتت، وفي بطنها إذ ذاك ولد حيٌّ متحرّك.

وجواب مبسوط في السِّجّادة التي تفرش في المسجد، قبل الجمعة، قبل مجيء المصلّى.

وجواب في ساعة الجمعة هل هي مقدرة بالدَّرجَ؟

وله أجوبة في الوقف في منقطع الوسط وغيره.

وله مسألة تسمّى الواسطة.

وله إبطال الكيمياء.

ومسألة الشفاعة، ومسألة الشهادة بالاستفاضة.

ومسألة في الإجازة على كتاب «المصابيح» للبغوي.

وأخرى على كتاب «المصابيح» أيضاً.

وله في الأحاديث وشرحها شيء كثير جدّاً. منها ما بُيِّض، ومنها ما لم يُبيّض، ولو بُيِّض لبلغ عدّة مجلدات.

وكتب كثيراً من مسند الإمام أحمد وغيره على أبواب الفقه.

وله مختصر في الكَلِم الطَّيِّب. جمع فيه الأذكار المستعملة طرفي النهار، وغير ذلك.

وشرح حديث أبي ذَرٍّ الذي أوله «يا عبادي إني حرّمت

الظلم على نفسي»[1].

وحديث «الأعمال بالنيّات»[2].

وحديث «بدأ الإسلام غريباً»[3].

وحديث «لا يَرِثُ المسلم الكافر»[4].

وحديث الدعاء الذي علّمه النبيّ ﷺ لأبي بكر الصدّيق «اللّهمّ إنّي ظلمت نفسي ظلماً كثيراً»[5].

وحديث جبريل في الإيمان والإسلام غير كتاب الإيمان المتقدّم في مجلد لطيف.

وحديث «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[6] شرحه مرّات عديدة.

وحديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف»[7] شرحه غير مرة.

---

(١) رواه مسلم في البرّ.

(٢) رواه البخاري في بدء الوحي ١، والإيمان ٤١، ومسلم في الإمارة ٢٣، والترمذي في فضائل الجهاد ١٦، والنسائي في الطهارة ٥٩، وابن ماجه في الزهد ٢٦، وأحمد في المسند ١/٢٥، ٤٢.

(٣) رواه مسلم في الإيمان ٢٣٢، والترمذي في الإيمان ١٣، وابن ماجه في الفتن ١٥، والدارمي في الرقاق ٤٢، وأحمد في المسند ١/١٨٤، ٣٩٨، ٢/١٧٧، ٢٢٢.

(٤) رواه أحمد في المسند ٥/٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٩.

(٥) رواه البخاري في الأذان ١٤٩، توحيد ٩، والدعوات ١٦، ومسلم في الذكر ٤٧، ٤٨، وحدود ٢٣، وابن ماجه في الدعاء ٢، والترمذي في الدعوات ٩٦، والنسائي في السهو ٥٩، وأحمد في المسند ١/٤، ٧.

(٦) رواه ابن ماجه في الفتن ٣.

(٧) رواه البخاري في فضائل الأعمال ٥، ٢٧.

وحديث النزول[1] شرحه مرّات.

وحديث الأولياء الذي رواه البخاري منفرداً به «مَن عادى لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة»[2] شرحه مرّات، تارة يسئل عن مجموعه، وتارة يسئل عن التردّد المذكور فيه.

وحديث حكيم بن حزام «أسلمت على ما أسلفت من خير».

وحديث ابن مسعود في درء[3] الهم.

وحديث معاذ وقول النبيّ ﷺ: «لا تدعنَّ دُبُر كل صلاة».

وحديث بريدة وقول النبيّ ﷺ لعائشة: «اشترطي لهم الولاء».

وحديث «فحج آدم موسى» شرحه مرّات.

وحديث «لا يُضرَب فوق عشرة أسواط إلاّ في حدٍّ من حدود الله».

وحديث «اللّهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد: كما صلّيت على إبراهيم»[3].

وشرح أحاديث كثيرة غير ما ذكر.

وشرح ما رُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «نِعمَ العبد صُهيب لو لم يخف الله لم يعصه» وتكلم عن «لو».

---

(١) «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من مستغفر فأغفر له، فيقول مَن يدعوني فأستجيب له، ومَن يستغفرني فأغفر له».

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن ١٦.

(٣) «اللّهمّ إني أعوذ بك من الهمّ والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».

وشرح قول علي رضي الله عنه: «لا يرجونَّ عبد إلّا ربّه ولا يخافنّ إلا ذنبه».

وله أجوبة كثيرة في أحاديث يسأل عنها من صحيح يشرحه وضعيف يبيّن ضعفه وباطل ينبّه على بطلانه.

وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير غير ما تقدّم ذكره يشقّ ضبطه وإحصاؤه ويعسر حصره واستقصاؤه.

ومن مؤلفاته أيضاً:

قاعدة في تقرير النبوّات بالعقل والنقل.

وقاعدة في تبديل السيئات حسنات.

وقاعدة في إبطال المجرّدات.

وقاعدة في المتشابهات.

وقاعدة في إثبات الرؤية، والردّ على نفقاتها.

وقاعدة في وجوب تقديم محبة الله تعالى ورسوله على النفس والمال والأهل.

وقاعدة في لفظ «الجسم» واختلاف الناس واصطلاحاتهم في هذا الاسم.

وقاعدة في تحريم الحشيشة، وبيان حكم آكلها، وماذا يجب عليه؟

وقاعدة في الردّ على مَن قال بفناء الجنّة والنار.

وله «الحموية الكبرى» ـ و«الحموية الصغرى» ـ.

فأما «الحموية الكبرى» فأملاها بين الظهر والعصر وهي جواب عن سؤال ورد من حماة سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة، وجرى

بسبب تأليفها أمور ومِحَن، وتكلّم الشيخ فيها على آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك وقال في مقدمتها وهي عظيمة جدّاً: «قولنا فيها ما قاله الله ورسوله والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان وما قاله أئمة الهدى من بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره. فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليُخرِج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً وأمره أن يقول: ﴿ **هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتّبعني** ﴾[1]».

فمن المُحال في العقل والدين: أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردّوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به: من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة وقد أخبر الله أنه أكمل له ولأمته دينهم وأتمّ عليهم نعمته مُحال ـ مع هذا أو غيره ـ أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميّز ما يجب لله من الأسماء الحُسنى والصفات العُلى وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فإن معرفة هذا أصلُ الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصّلته النفوس وأدركته العقول.

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيّين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً؟!!.

ومن المُحال أيضاً أن يكون النبيّ ﷺ قد أعلم أمته كل شيء، وقال: «تركتم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[١].

وقال فيما صحّ عنه أيضاً: «ما بعث الله من نبي إلاّ كان حقّاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلّمه لهم وينهاهم عن شرّ ما يعلّمه لهم».

وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلاّ ذكر لنا منه علماً». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك مَن حفظه ونسيه مَن نسيه» رواه البخاري مُحال مع هذا ومع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقّ: أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم، ربّ العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزُبدة الرسالة الإلّهية فكيف يتوهّم مَن في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ».

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة ٦.

٦ ـ ثناء الشيوخ العلماء عليه:

كان رحمه الله تعالى سيفاً مسلولاً على المخالفين، والمبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحراً لا تكدّره الدلاء وحبراً يقتدي به الأخيار الألبّاء، طنّت[١] بذكره الأمصار، وضنّت[٢] بمثله الأعصار.

قال العلاّمة كمال الدين بن الزملكاني: كان إذا سُئِلَ عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف كيف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ولا يُعرَف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ـ ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلاّ فاقَ فيه أهله والمنسوبين إليه.

قال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيّد الناس الْيَعْمُري المصري، بعد أن ذكر ترجمة الشيخ الحافظ جمال الدين أبي الحجّاج المزِّي: وهو الذي حدّاني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد السلام بن تيمية، فألفيته ممّن أدرك من العلوم حظاً، وكاد يستوعب السُنن والآثار حفظاً. إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مُدرك غايته، أو ذكر بالحديث فهو

---

(١) طنّت: أي اشتهر.
(٢) ضنّت: أي لم تنجب الأعصار مثله.

صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنِّحَل والمِلَل لم يُرَ أوسعَ من نِحلته في ذلك ولا أرفع من درايته. برز في كل فن على أبناء جنسه. ولم ترَ عين مَن رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير فيحضر في مجلسه الجمّ النفير، ويرِدون من بحر بحر علمه العذب النمير ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير، إلى أن دبَّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وألّب أهل النظر منهم على ما يفتقد عليه في حنبليته من أمور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلاماً، أوسعوه بسببه ملاماً، وفوقوا لتبديعه سهاماً، وزعموا أنه خالف طريقتهم، وفرّق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه، ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقه.

قال الشيخ علم الدين البرزالي في معجم شيوخه: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، يجمع على فضله ونبله ودينه. وقرأ الفقه وبرع فيه، والعربية والأصول، ومهر في علميّ التفسير والحديث.

وكان إماماً لا يلحق غباره في كل شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بُهِت الناس من كثرة محفوظه، وحُسْن إيراده وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، وخوضه في كل علم. كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرّد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى.

وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس يفسّر القرآن العظيم فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيّته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى الله تعالى خلق كثير. وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلّل من الدنيا رحمه الله تعالى، وردّ ما يُفتح به عليه.

قال الشيخ أبو الحسن الندوي: مَن انصبغ بهذه الصبغة، ورزقه الله نعمة غنى القلب الخالدة. تلاشت في عينه مملكة كسرى وقيصر. ورأى النظر إليها كفراناً بنعمة الله تعالى. وجحوداً لمنّته. وهو ينشد في نشوة الحب والمعرفة ما معناه: «إنني لا أرضى بإعطاء مُسوحي عوضاً عن حلّة الملوك. ولا أرضى ببيع فقري بمُلْك سليمان. إن الثروة التي نلتها في آلام الفقر لن أرضى باستبدالها بتنعّم الملوك»[1].

ومَن جهل حاله يسيء به الظن، ويتّهمه بالطمع في المُلْك والحُكْم. ولكنه يتأسف على جهله وفساد ذوقه، ويقول: كيف يمكن النظر إلى هذا الملك الفاني بعد هذه الثروة الغالية، والنعمة الخالدة؟ وقد كانت هذه قصة الشيخ ابن تيمية، فقد قال له الملك الناصر ذات مرة: سمعت بأن الناس أطاعوك وأنت تفكّر في الحصول على المُلْك؛ فردّ عليه الشيخ قائلاً بصوت عالٍ سمعه الناس الحاضرون كلهم: «أنا أفعل ذلك؟ والله إن مُلكك، ومُلك المغل لا يساوي عندي فلساً»[2].

---

(١) ربانيّة لا رهبانيّة، ص ٧٧، ٧٨.

(٢) الكواكب الدريّة، ص ١٦٦.

قال الشيخ علم الدين: رأيت في إجازة لابن الشهرزوري الموصلي خطَّ الشيخ تقي الدين بن تيمية، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين الذهبي: هذا خطّ شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فرد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين، قرأ القرآن والفقه وناظر واستدلّ، وهو دون العشرين سنة. وصنّف التصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعلّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرّاس وأكثر. وفسّر كتاب الله تعالى مدة سنتين من صدره أيام الجمع وكان يتوقد ذكاء. وسماعاته من الحديث كثيرة. وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليه المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله، وصحته، وسقمه، فما يلحق فيه. وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين ـ فضلاً عن المذاهب الأربعة ـ فليس له فيه نظير. وأما معرفته بالمِلَل والنِحَل والكلام فلا أعلم فيه نظيراً. ويدري جملة صالحة من اللغة. وعربيته قوية جداً، ومعرفته بالتاريخ والسِيَر فعجب عجيب. وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضرب بهم المثل. وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس.

وقال الشيخ محمد بن أحمد الحنبلي: له خبرة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به. فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه. وهو عجب في

استحضاره، واستخراج الحجج منه. وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستّة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث» ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي. وأما التفسير فمسلّم إليه. وله في استحضار الآيات من القرآن ـ وقت إقامة الدليل بها على المسألة ـ قوة عجيبة.

وقال الذهبي، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:ـ كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسُنّة والاختلاف. بحراً في النقليات، هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعةً وسخاءً، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وكثرة تصانيف. وقرأ وحصل، وبرع في الحديث والفقه، وتأهّل للتدريس والفتوى، وهو ابن سبع عشرة سنة. وتقدّم في علم التفسير والأصول، وجميع علوم الإسلام، أصولها وفروعها، ودقّها وجلّها، سوى علم القراءات. فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه وإن عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق. وإن حضر الحفّاظ نطق وخرسوا. وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا. وإن سُمّي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم. وإن لاحَ ابن سينا يقدّم الفلاسفة فلّهم وتيّسهم، وهتك أستارهم وكشف عوارهم. وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة.

غفر الله له ورحمه وأسكنه فسيح جنّاته.

٧ ـ تنوّع الوسائل، ووحدة الغاية:

ولا يخفى على أصحاب البصيرة، أن الذوق والمعرفة،

والإيمان الحقيقي واليقين والإخلاص، والاستقامة، وتزكية الباطن وتهذيب الأخلاق، والاتّباع الكامل للسنّة، والتفاني في الشريعة غايات حقيقية مقصودة، تتخذ لأجلها وسائل مختلفة، وطرق متعددة، ولا يقصر المحقّقون اكتسابها على طريقة واحدة، وقد كان الطريق القوي المؤثر للحصول على هذه الغايات في فجر تاريخ الدعوة الإسلامية، صحبة النبيّ ﷺ التي لا يجهل تأثيرها وقوّتها أحد.

ولما حرمت أمة الإسلام هذه النعمة، قام خلفاء النبوّة، وأطباء هذه الأمة في عصورهم بوصف عوض عنها، وأخيراً ركّزوا جُلَّ عنايتهم لأسباب مختلفة على الصحبة وكثرة الذكر، ولها طريقة مدوّنة منقحة تُعرَف بنظام التصوّف والسلوك، غير أنه لا مساغ لإنكار أن الحصول على هذه الغايات والمقاصد لا يتوقف على هذه المسائل، فإن الإيمان والاحتساب، ومحاسبة النفس، وتتبّع السُنّة والاشتغال بكتب السُنّة والشمائل، درساً وتدريساً، وخدمةً ونشراً مع الحب والإجلال، وكثرة الصلاة على النبي ﷺ، وخدمة الخلق والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة والتبليغ بصدق النيّة والاحتساب، كل ذلك عدا الاجتباء والموهبة، التي يخصّ بها بعض الأفراد سبب للتقرّب إلى الله وحصول النسبة معه. إذا صدر عن إيمان واحتساب، وحضور واهتمام، ولا مانع أن تكون الوسائل مختلفة والطرق متعددة، فإن الغاية واحدة ولا شك أن جملة أحوال شيخ الإسلام تدلّ بوضوح على أنه كان يتمتع بهذه الغاية، وذلك ما نريد إيضاحه في السطور التالية:

٨ ـ ميزان كمال الإنسان، وآية بلوغه درجة الولاية والتحقيق:

ونستطيع أن نشهد لرجل بأنه كان من العارفين والمحقّقين الكاملين. وممّن وضع الله لهم القبول، نظراً إلى الأحوال والأذواق، والعادات العامّة التي عاش فيها، ولا يكون له مقياس ظاهر أو دليل منطقي، وقد يخطىء مَن رُزِقَ سلامة الفطرة وصفاء الذوق؛ لكثرة ما يدرسه من أحوال العارفين ورجال الله، ويلزم صحبتهم بملكة ووجدان، يتمكّن بهما من الحكم في ذلك، ولكن هناك علامات وأحوالاً يدرك بها، أن مستوى هذا الرجل الديني، أرفع من مستوى عامّة الناس، وهو يتمتع بأخلاق رجال الله، وأذواقهم، وفهم الدين الصحيح، مثلاً ذوق خاص للعبودية والإنابة إلى الله، وتذوّق العبادة والانهماك فيها، ولذّة الدعاء، والابتهال والزهد، والانقطاع عن الدنيا وازدرائها، وسجيّة السخاء والإيثار، والتواضع، وإنكار الذات، والسكينة والسرور، والكمال في اتّباع السُنّة، والقبول في الصالحين. وشهادة العلماء له، وتصلّب أتباعه ومُحبِّيه في الدين، وحُسْن سيرتهم وما إلى ذلك، وبهذه المناسبة ننقل للقرّاء شهادات معاصري شيخ الإسَلام، وما سجّله المؤرخون في كتبهم عن هذه القسمات التي سبق ذكرها.

٩ ـ ذوقه في العبودية والإنابة إلى الله:

إن الذوق الحقيقي الصحيح للعبودية والإنابة إلى الله شهادة

جليّة على أن قلب صاحبه عامر باليقين، ومغمور بجلال الله وكبريائه، ومنوّر بمشاهدة قدرة الله سبحانه وتعالى وجلاله، وبشعور العجز والضعف أمامه، وحينما يرسخ هذا اليقين والمشاهدة في الباطن، يتجلى ذلك في الأعمال والألفاظ، والفرق بين الحقيقة والصناعة في ذلك كالفرق بين الأصل والنقل، وهو لا يخفى على صاحب البصيرة والوجدان، وقد قال الشاعر العربي(١):

«ليس التكحّل في العينين كالكحل»

والأحوال التي عاش فيها شيخ الإسلام ابن تيمية تشهد بأنه كان متحلياً باليقين والمشاهدة، التي بعثت فيه صفة من الافتقار والاضطرار، والعبودية والإنابة، وقد رُوِيَ أنه إذا أشكلت عليه مسألة أو صعب فهم آية التجأ إلى جامع في مكان موحش، ووضع جبهته على التراب وردّد قوله: «يا معلّم إبراهيم فهِّمني»(٢).

يقول العلاّمة الذهبي:

«لم أرَ مثله في ابتهاله وكثرة توجّهه» ويقول: «إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكُلُ عليّ؛ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينجلي إشكال ما أشكل».

ولا يحول دون هذه الحالة نوع من الجلوة، والمجالس،

---

(١) هو أبو الطيّب المتنبي.
(٢) العقود الدريّة، ص ٦.

وصخب الأسواق يقول: «وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدروب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي»[1].

وعندما ينشأ هذا اليقين، وذوق العبودية في النفس ويتمكّن في الباطن، يشعر الإنسان بعجزه وافتقاره، وضعفه وقلّة بضاعته، ويتمثّل كأنه واقف على الباب الملكي بكشكوله[2] الفارغ ويستجدي من الله رحمته وفضله.

وحياة ابن تيمية وما ذكر له من أحوال وأقوال، ومواقف تشهد بأنه كان ينعم بنعمة الفقر وعزّة التذلّل، يقول ابن قيّم: إنني لم أشاهد هذه الحالة عند أيّ شخص بمثل ما شاهدته في شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد كان يقول: «ما لي شيء، ولا منّي شيء، ولا فيَّ شيء»، وطالما كان ينشد البيت التالي:

أنا المكدي، أنا المكدي
وهكذا كان أبي وجدّي

١٠ - تذوّق العبادة، والانهماك فيها:

لا يستطيع أيّ إنسان أن يتذوّق العبادة وينهمك فيها ما لم يشعر بلذّتها ويذق طعمها[3] وما لم تحتل العبادة محل الدواء

---

(١) الكواكب الدريّة، ص ١٤٥.
(٢) وعاء المتسوّل الذي يجمع فيه رزقه.
(٣) وقد ورد في الحديث «جعلت قرّة عيني في الصلاة» رواه النسائي وكان النبي ﷺ، يقول: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها» (رواه أبو داود).

والغذاء والقوة، ويصل إلى درجة تصبح الصلاة فيها لعينه قرّة ولروحه مسرّة. أما الشيخ ابن تيمية فيشهد معاصروه والمطّلعون على أحواله بأنه كان له القدح المعلّى في هذه الثروة الغالية، وكان له ذوق خاص في العبادة، والمناجاة والخلوة، وكان شديد الشغف بهذه الناحية، عظيم الانهماك فيها[1]. وجاء في الكواكب الدريّة:

«وكان في ليلة منفرداً عن الناس كلهم، خالياً بربّه عزّ وجل، ضارعاً إليه، مواظباً على تلاوة القرآن الكريم، مكرّراً لأنواع التعبّدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة»[2].

ولا شك في أن قوة أصحاب الذوق، وأهل القلوب ونشاطهم، إنما يقوم على الذكر والعبادة، فإذا اختلّ ذلك، انهارت قواهم، ويشعرون كأنهم أصيبوا بفاقة، يقول ابن قيّم: «وكان إذا صلّى الفجر يجلس في مكانه، حتى يتعالى النهار جداً. يقول هذه غدوتي لو لم أتغد هذه الغدوة سقطت قواي»[3].

ويرزق الله سبحانه وتعالى، الاستقامة بعد هذا الذوق والاهتمام، فيصبح الذكر والعبادة، والمواظبة عليها طبيعة الإنسان. يقول العلاّمة الذهبي: «له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية»[4].

---

(١) ربانيّة لا رهبانية، ص ٧٦.
(٢) الكواكب الدريّة، ص ١٥٦.
(٣) الردّ الوافر، ص ٣٦.
(٤) الردّ الوافر، ص ١٨.

١١ ـ الزهد في الدنيا، وازدراؤها:

لا ينبعث الدافع الصحيح الخالص للزهد في الدنيا وازدرائها ما لم تنكشف حقيقة الدنيا بوضوح، وما لم يطرأ على المرء حال: ﴿إن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾[١]، ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾[٢]. وذلك لا يتحقق بدون اليقين والمعرفة الصحيحة والاتصال بالله، وقد ذكر مُعاصروه أحوالَ زُهد شيخ الإسلام وتجرّده من الدنيا وافتقاره إلى الله، يقول زميله في الدراسة ومعاصره، الشيخ علم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ: «وجرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر والتقلّل من الدنيا وردّ ما يُفتح به عليه»[٣].

١٢ ـ السخاء والإيثار:

ومما يتّصف به رجال الله، والعاملون بالسُنّة النبوية بصفة خاصة. هو السخاء والإيثار. وقد بسط الحافظ ابن قيّم الكلام في أسباب شرح الصدر في كتاب (زاد المعاد) وذكر ما للإحسان إلى الخلق، ونفعهم بالمال والجاه والبدن من التأثير العميق في انشراح الصدر. وطيب النفس. ونعيم القلب[٤].

وقد اعترف مُعاصروه وأحبته بسخائه وأثنوا على جوده

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٤.
(٢) سورة القصص، آية: ٦٠.
(٣) الردّ الوافر، ص ٦٥.
(٤) راجع زاد المعاد، ج ١، ص ١٥٣، طبع بالمطبعة المصرية.

وإنفاقه، وقد جاء في (الكواكب الدريّة): (وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضرَب بهم المثل)[1].

ويتحدث الحافظ ابن فضل الله العمري، أحد معاصري الشيخ عن جوده وسخائه، فيقول:

«كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيهب ذلك بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ منه شيئاً إلّا ليهبه ولا يحفظه إلّا ليذهبه»[2].

وقد بلغ من السخاء والإيثار أن كان يخلع ما كان عليه من ثياب، ويقدّمها إلى السائل إذا لم يجد شيئاً آخر. يقول الحافظ ابن فضل الله: «كان يتصدّق، حتى إذا لم يجد شيئاً نزع بعض ثيابه فيصل به الفقراء»[3].

ويقول أحد الرّواة:

«وكان يتفضل من قوته الرغيف والرغيفين، فيؤثر بذلك على نفسه»[4].

ومن مواقف الإيثار المحرجة أن يعامل المرء أعداءه ومُعارضيه، برحابة الصدر، بل بالعفو عنهم، والإحسان إليهم،

---

(١) الكواكب الدريّة، ص ١٤٦.
(٢) الكواكب الدريّة، ص ١٥٨.
(٣) الكواكب الدريّة، ص ١٥٧.
(٤) الكواكب الدريّة.

وفوق ذلك بالدعاء والنصح، وهذا منصب خطير لا يناله إلا مَن تجاوز حدود الكِبَر والأنانية، ونسي نفسه، وأنعم الله عليه بنعمائه، ورزقه من السكينة والسرور ما يذوب أمامه كل عداء ومعارضة، فيجد قلبه عامراً بدافع النصح والرثاء لأعدائه، وقد سبق أنه عندما أطلق سراحه في سنة (٧٠٩ هـ) مرة أخرى خلا به السلطان واستفتاه في قتل أولئك القضاة الذين قاموا بحماية «جاشنكير» وأفتوا بعزل السلطان، وزاد له السلطان، قائلاً: إنهم أثاروا عليك الضجة والأقاويل، وآذوك، فما وسع ابن تيمية إلا أن مدحهم وأثنى عليهم أمام السلطان، وشفع لهم بالعفو والصفح عنهم، ومنعه من قتلهم. وقد مدحه القاضي ابن مخلوق المالكي الذي كان من أشد معارضي شيخ الإسلام ومنافسيه، بقوله: «ما رأيت كريماً واسع الصدر مثل ابن تيمية، فقد أثرنا الدولة ضدّه، ولكنه عفا عنّا بعد المقدرة، حتى دافع عن أنفسنا وقام بحمايتنا[1]».

يقول تلميذه النجيب ورفيقه في آنٍ، ابن قيّم: «كان يدعو لأعدائه، ما رأيته يدعو على واحد منهم، وقد نعيت إليه يوماً أحد معارضيه الذي كان يفوق الناس في إيذائه وعدائه، فزجرني، وأعرض عنّي، وقرأ: ﴿ **إنّا لله وإنّا إليه راجعون** ﴾[2] وذهب لساعته إلى منزله، فعزّى أهله وقال: اعتبروني خليفة له. ونائباً عنه. وأساعدكم في كل ما تحتاجون إليه. وتحدّث معهم بلطف وإكرام بعث فيهم السرور، فبالغ في الدعاء لهم حتى تعجبوا منه».

---

(١) ربانيّة لا رهبانيّة، ص ٧٩، ٨٠. (٢) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

إن مكانة العفو والإحسان، والشفقة والرحمة مع الأعداء أرفع وأسمى من مكانة الإيثار المالي والمادّي بكثير، إنها مكانة لا يسعد بها إلّا الأولياء والصدّيقون، وقد كان لابن تيمية قدم راسخة في هذه المكانة، وكأنه كان ينشد بلسان حاله ما أنشده الشاعر الربّاني الذي سعد بهذه المكانة بالفارسية، وهذا معناه:

«إن مَن ضاق صدره عن مودّتي، وقصرت يده عن معونتي، كان الله في عونه وتولّي جميع شؤونه، وإن كان كل مَن عاداني وبالغ في إيذائي لا كدَّر الله صفو أوقاته ولا أراه مكروهاً في حياته، وإن كلّ مَن فرش الأشواك في طريقي، وضيّق عليّ السُبُل، ذلّل له كل طريق، وحالفه النجاح والتوفيق».

١٣ ـ التواضع وإنكار الذات:

إن التواضع وإنكار الذات من خصائص رجال الله الخاصّة وهو المنصب الأعلى في الدين، أفضل من ألف فضيلة وألف كرامة، ولا يبلغ الإنسان هذه المنزلة، إلا أن تموت الأنانية، ويتزكّى قلبه من جميع الشوائب والعلائق، وقد كان شيخ الإسلام متحلياً بهذه الفضيلة الكبرى على فضائله العلمية. وسموّه الديني والعلمي، وأقواله تشهد بما كان يتّصف به من التواضع والربانية وهضم النفس، وإنكار الذات.

يقول الحافظ ابن قيّم إنه كثيراً ما كان يقول: «ما لي شيء، ولا منّي شيء، ولا فيَّ شيء.. وإن مدحه أحد في وجهه قال:

«والله إنّي إلى الآن أجدّد إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً»[1].

وقد يقول لمَن مدحه: «أنا رجل ملّة: لا رجل دولة»[2].

وإذا بلغ الإنسان إلى هذه المنزلة من العبودية، وإنكار الذات، لا يرى له حقّاً على أحد ولا يطالبه بشيء، ولا يعاتب أحداً ولا ينتقم لنفسه في أيّ حال، وقد بلغ به الله إلى هذه الدرجة، يقول ابن قيّم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدّس الله روحه ـ يقول: العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب[3].

ويعلم المطّلعون على أحواله جيداً أنه في ذلك إنما يتحدث عن نفسه ويحكي حاله.

١٤ ـ السكينة والوقار:

وبعد هذا الإيمان واليقين، وهذا الاتصال الصحيح بالله تعالى والتحرّر من الخلق، وانطلاق القلب من القيود المادية، يحصل للعارف السكينة والسرور ويذوق بهما لذّة النعيم والجنة في الدنيا. يقول ابن قيّم: إن شيخ الإسلام قال مرة:

---

(١) مدارج السالكين، ج ١، ص ٦٩٦.
(٢) الكواكب الدريّة، ص ١٦٤.
(٣) مدارج السالكين، ج ١، ص ٤٩٦.

«إن في الـدنيا جنّـة، مَن لم يدخلهـا لم يدخـل جنّـة الآخرة»(١).

ولا يخفى على أهل البصائر أن عباد الله تعالى المخلصين يتحققّون في الدنيا بصفة النعمة: ﴿ **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾(٢) ويذوقون لذّتها، ويرون نموذجها في الدنيا، ولا شك أن شيخ الإسلام ظفر بهذه النعمة، كما ذكر أصحابه، وقد قال مرة في حماس:

«ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنّتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني»(٣).

وظلّت نسبة السكينة والرضا هذه، لا تفارقه في حياته، وبعد مماته يقول ابن قيّم:

زرته ذات ليلة في الرؤيا، وذكرت له بعض الأعمال القلبية فقال: «أما أنا فطريقي الفرح والسرور به»(٤). ويقول ابن قيّم في «مدارج السالكين»:

«وهكذا كانت حاله في الحياة، ويبدو ذلك على ظاهره، وينادي به عليه حاله»(٥).

---

(١) الردّ الوافر، ص ٣٦.
(٢) سورة البقرة، آية ٦٢.
(٣) الوابل الصيّب، ص ٦٦.
(٤) إغاثة اللهفان.
(٥) مدارج السالكين.

١٥ ـ الكمال في اتّباع السُنّة:

وتبتدىء هذه المكانة (مكانة القبول والولاية) باتّباع السُنة، وتنتهي بكمال اتّباع السُنّة، وقد اعترف الناس جميعاً حتى الأعداء بشغف شيخ الإسلام بالسُنّة وانهماكه في الحديث، ولم يكن هذا الشغف والانهماك علمياً أو نظرياً فقط، وإنما كان يتصل بالسُنّة عملياً وفي الظاهر، وقد شهد معاصروه أنهم لم يروا جلال مكانة الرسول ﷺ، والاهتمام باتّباع سُنّته عند أحد من العلماء، مثل ما رأوا ذلك عند شيخ الإسلام ابن تيمية. يقول الحافظ سراج الدين البزار، وهو يقسم على الله:

«لا والله ما رأيت أحداً أشدّ تعظيماً لرسول الله ﷺ، ولا أحرص على اتّباعه، ونصر ما جاء به منه»[1].

وقد كانت هذه الناحية تستحوذ عليه، وتسيطر على قلبه فكلّ مَن رآه شهد قلبه بكمال اتّباعه للسُنّة، وحبّه العميق للرسول ﷺ، يقول العلاّمة عماد الدين الواسطي:

«ما رأينا في عصرنا هذا مَن تُستجلى النبوّة المحمدية وسُنّتها من أقواله وأفعاله، إلا هذا الرجل، يشهد القلب الصحيح، أن هذا هو الاتّباع حقيقة»[2].

١٦ ـ قبوله في الصالحين:

إن ثناء حشد من الناس على رجل لا يعتبر دليلاً على قبوله

(١) الكواكب الدريّة، ص ١٤٩.
(٢) جلاء العينين، ص ٨.

عند الله، واستقامته وعلوّ منزلته، أما إذا شهد له رجال العلم والبصيرة وأصحاب الصلاح والتقوى في عصره، فلا شك أنه يعتبر دليلاً على قبوله وعلوّ منزلته، ولا بدّ من أن يتّصف أتباعه ومحبّوه وجلساؤه بالصلاح والسَداد، وحُسْن الاعتقاد والتقوى والاهتمام بالآخرة. ويمتازوا من أبناء عصرهم في تدينهم، وحُسْن سيرتهم، وهذا كان شأن شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد شهد بفضله وصحة اعتقاده، وسلامة عقيدته، ومكانته العالية، كبار رجال العلم والبصيرة، وأصحاب الصلاح والرشد في عصره، واعترفوا بعلو منزلته في ذلك، فمدحوه، وأثنوا عليه. أما مُعارضوه، فقد كان معظمهم ممّن يتزلفون إلى الدولة، ويطلبون الدنيا، ويطمعون في الجاه والمنصب دائماً[1].

١٧ ـ الفراسة والكرامات:

وبالرغم من أن الكشوف والكرامات، لا تُعدّ جزءاً من الولاية والقبول، ولا دليلهما، وقد أوضح المحقّقون، فقالوا: «الاستقامة فوق الكرامة» وهي قضية لا تقبل الجدل، ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى ينعم على كثير من عباده المخلصين بهذه النعمة، فتظهر من أيديهم أو ألسنتهم وقائع تؤيد قبولهم ووجاهتهم عند الله والناس، وقد اتفق أهل السُنّة على أن «كرامات

(١) ويستثنى من هذه الكليّة مَن عارضه لسوء تفاهم، أو اختلفوا معه في أصول بعض المسائل العلمية فحسب، وما من عامّ إلا وقد خصّ منه البعض.

الأولياء حق» وتؤيد ذلك بعض الوقائع والشواهد في الكتاب والسُنّة أيضاً، وقد جاء في مؤلفات شيخ الإسلام إثبات هذه الحقيقة، وتقرير هذه المسألة.

وقد شهد معاصروه وتلاميذه ومُحبّوه، بتلك الوقائع التي حدثت كخرق للعادة والكرامة، واعترف بها المتأخرون، وقالوا: لا يمكن إنكارها لكثرة ما عرفت ونقلت، يقول العلاّمة بدر الدين العيني، صاحب (عمدة القارىء: شرح صحيح البخاري) في (تقريظ الردّ الوافر):

«وهذا الإمام مع جلالة قدره في العلوم نُقِلت عنه على لسان جمٍّ غفير من الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس»[1]. والفراسة الصادقة شعبة من هذه الكرامات التي يكرم الله بها عباده المتّقين وكبار المؤمنين، وتُحكى لهذه الفراسة حكايات عجيبة، ذكر الحافظ ابن قيّم[2] طائفة منها في كتابه «مدارج السالكين» وغيره من مؤلفاته الأخرى. يقول في مدارج السالكين:

«ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام أموراً عجيبة، وما لم نشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفراً ضخماً»[3].

---

(١) الردّ الوافر، ص ٨٩.
(٢) مدارج السالكين، ج ٢، ص ٢٥٠.
(٣) فصل مأخوذ من الجزء الثاني لكتاب «تاريخ الدعوة والعزيمة» الخاص بسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية للمؤلف. نقله إلى العربية الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي.

ونظراً إلى كل ذلك قال العلّامة علي بن سلطان محمد القاري الهروي المتوفى بمكة سنة ١٠١٤ هـ: «ومَن طالع شرح السائرين تبيّن له أنّهما[١] كانا من أكابر أهل السُنّة والجماعة. ومن أولياء هذه الأمة»[٢].

١٨ ـ عصره:

قد ذكرنا فيما سبق أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ولد سنة ٦٦١ من هجرة المصطفى ﷺ، وهو عصر الغزو الأجنبي للعالم الإسلامي «أي عصر غزو التتار للعالم الإسلامي» فقبل ميلاد ابن تيمية بعامين تعرّض العالم الإسلامي إلى هذا الغزو بسبب مقتل بعض التتاريين على يد المسلمين، واتخذ التتار من هذا السبب ذريعة لشنّ هجماتهم العدوانية على العالم الإسلامي. وحيث لا دين سماوياً يحكمهم فكما قلت «أي الغزو التتاري قبل ميلاد الشيخ بعامين» ففي هذا العام (أي سنة ٦٥٩ من الهجرة) أغارت التتار على حلب فلقيهم صاحبها حسام الدين العزيزي، والمنصور صاحب حماة، والأشرف صاحب حمص، وكانت الوقعة شمالي حمص قريباً من قبر خالد بن الوليد، والتتار في ستّة آلاف والمسلمون في ألف وأربعمائة

---

(١) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيّم الجوزية.
(٢) المرقاة شرح المشكاة، المجلد ٤، ص ٤٢٧.
وعن هذه المصادر نقل الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه ربانيّة لا رهبانية.

فهزمهم الله عزّ وجل وقتل المسلمون أكثرهم فرجع التتار إلى حلب فحصروها أربعة أشهر وضيقوا عليها الأقوات، وقتلوا من الغرباء خلقاً صبراً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، والجيوش الذين كرّوهم على حمص مقيمون لم يرجعوا إلى حلب بل ساقوا إلى مصر فتلقاهم الملك الظاهر في أبّهة السلطان وأحسن إليهم، وبقيت حلب محاصرة لا ناصر لها في هذه المدة، ولكن سلّم الله سبحانه وتعالى وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الظاهر في أبّهة الملك ومشى الأمراء والأجناد بين يديه، وكان ذلك أول ركوبه واستمر بعد ذلك يتابع الركوب واللعب بالكرة وقد قام التتار بمعارك كثيرة ضدّ العالم الإسلامي بهدف بسط أيديهم على الإسلام والمسلمين، فلقد أرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشاً مع أمير من كبار دولته يقال له كتبغانوين، فوردوا دمشق في آخر صفر فأخذوها سريعاً من غير ممانعة ولا مدافعة بل تلقّاهم كبارها بالرحب والسِعَة، وكتب هولاكو أماناً لأهل البلد، فقرىء بالميدان الأخضر ونودي في البلد، فأمن الناس على وجل من الغدر كما فعل بأهل حلب، هذا والقلعة ممتنعة مستورة، وفي أعاليها المجانيق منصوبة والحال شديدة، فأحضرت التتار منجنيقاً يحمل على عجل والخيول تجرّها، وهم راكبون على الخيل وأسلحتهم على أبقار كثيرة فنصب المجانيق على القلعة مع غرسها، وخرّبوا كل بدنة فيها وأعالي بروجها، وذلك في نصف جمادى الأولى من هذه السنة، وقتلوا المتولّي بها بدر الدين بن قراجا، ونقيبها جمال الدين بن الصيرفي الحلبي، وسلّموا البلد والقلعة إلى أمير منهم يقال له ابن سيان، وكان لعنه الله معظّماً

لدين النصارى، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم، فعظّمهم جداً، وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة وصَولة بسببه، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو وأخذوا معهم هدايا وتحفاً وقدِموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته، ودخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس النـاس وهم ينادون بشعـارهم ويقولون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح[١]. ويذمّون دين الإسلام وأهله، ومعهم أواني في خمر لا يمرّون على باب مسجد إلّا رشّوا عنده خمراً، وقماقم ملآنة خمراً يرشّوا منها على وجوه الناس وثيابهم، ويأمرون كلّ مَنْ يجتازون به في الأزقّة والأسواق أن يقوم لصليبهم، ودخلوا من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان، ورشّوا عنده خمراً، وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان أو قريباً منه فتكاثر عليهم المسلمون فردّوهم إلى كنيسة مريم، فوقف خطيبهم على دكّة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى وذمّ دين الإسلام وأهله، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثم دخلوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم وكانت عامرة ولكن كان هذا سبب خرابها والحمد لله. وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله على المرآة أنهم ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم فالله أعلم[٢].

قال وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخمر، وكان في نيّتهم إن طالت هذه المعارك أن يخرّبوا كثيراً من المساجد وغيرها. ولما

---

(١) انظر البداية والنهاية، ج ١٤.
(٢) انظر البداية والنهاية، ج ١٤.

وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة يشكون هذا الحال إلى مُتَسلِمها ابن سيان فأُهينوا وطُردوا، وقُدِّم كلام رؤساء النصارى عليهم فإنّا لله وإنّا إليه راجعون[1].

وهذا كان في أول هذه السنة وسلطان الشام الناصر بن العزيز وهو مقيم في وطأة برزة، ومعه جيوش كثيرة من الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قَدِموا عليهم، وكان في جملة مَن معه الأمير بيبرس البدقداري في جماعة من البحرية، ولكن الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة لما يريد الله عزّ وجل. وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر علي، فلما عرف الناصر ذلك هرب إلى القلعة وتفرقت العساكر شذر مذر وساق الأمير ركن الدين بيبرس في أصحابه إلى ناحية غزة، فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه، وأقطعه قليوب، وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه، إنما كان حتفه على يده[2].

١٩ ـ وقعة عين جالوت:

اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاث أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت وذلك أن الملك المظفّر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام كما ذكرنا، وقد

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.

نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وقد عزموا على الدخول إلى مصر وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر، وليته فعل، وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماة، ووعد بجلده ووفاه له، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كرّ راجعاً إلى ناحية تيه بني إسرائيل، ودخل عامّة مَن كان معه إلى مصر، ولو دخل كان أيسر عليه مما صار إليه، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة فعدل إلى ناحية الكرك فتحصّن بها وليته استمر فيها، ولكنه قلق فركب نحو البرية ـ وليته ذهب فيها ـ واستجار ببعض أمراء العرب فقصدته التتار وأتلفوا ما هنالك من الأموال، وخرّبوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وهجموا على الأعراب التي كانت بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقاً وسبوا من نسلهم ونسائهم، وقد اقتصّ منهم العرب بعد ذلك، فأغاروا على خيل جشارهم في نصف شعبان فساقوها بأسرها، فساقت وراءهم التتار فلم يدركوا لهم الغبار ولا استردّوا منهم فرساً ولا حماراً، وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزي وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكو خان وهو نازل على حلب، فما زالوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية[1].

والمقصود أن المظفّر قطز لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه، فخرج في عساكره وقد اجتمعت

---

(١) البداية والنهاية، ١٤/٢٦.

الكلمة عليه، حتى انتهوا إلى الشام واستيقظ عسكر المغول وعليهم كتبغانوين، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير بن الذكي، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفّر حتى يستمدّ هولاكو فأبى أن يناجزه سريعاً فساروا إليه وسار المظفّر إليهم، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فكانت النصرة ولله الحمد للإسلام وأهله، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبغانوين وجماعة من أهل بيته، وقد قيل إن الذي قتل كتبغانوين الأمير جمال الدين آقوش الشمس، واتّبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماة مع الملك المظفّر قتالاً شديداً، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، وكان أتابك العسكر، وقد أسر من جماعة كتبغانوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفّر بضرب عنقه، واستأمن الأشراف صاحب حمص، وكان مع التتار، وقد جعله هولاكو خان نائباً على الشام كله، فأمّنه الملك المظفّر وردّ إليه حمص، وكذلك ردّ حماة إلى المنصور وزاده المعرّة وغيرها، وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا بن مانع أمير العرب، واتّبع الأمير بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب مَن بدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكّون الأسارى من أيديهم، وجاءت بذلك البشارة ولله الحمد على جبره إياهم بلطفه، فجاوبتهم دقّ البشائر

من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً، وأيّد الله الإسلام وأهله تأييداً وكتم الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها فأحرقوا دوراً كثيرة للنصارى، وملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة، وهمّت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم إنه لم يكن منهم من الطغيان كما كان من عَبَدَة الصلبان، وقتلت العامّة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مُصانِعاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، كان خبيث الطويّة مشرقياً ممالئاً لهم على أموال المسلمين قبّحه الله، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين، وقد كان هولاكو أرسل تقليداً بولاية القضاء على جميع المدائن: الشام، والجزيرة، والموصل، وماردين، والأكراد وغير ذلك، للقاضي كمال الدين عمر بن بدار التفليسي. وقد كان نائب الحكم بدمشق عن القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سني الدولة من مدة خمس عشرة سنة، فحين وصل التقليد من سادس عشرين ربيع الأول قرىء بالميدان الأخضر فاستقلّ بالحكم في دمشق وقد كان فاضلاً، فسار القاضيان المعزولان صدر الدين بن سني الدولة ومحي الدين بن الزكي لابن سني الدولة وبذل أموالاً جزيلة، وتوليا القضاء بدمشق ورجعا، فمات ابن سني الدولة ببعلبك، وقَدِمَ ابن الزكي على القضاء ومعه تقليده، وخلعة مذهّبة وجلس في خدمة ابن سنان تحت قبّة النسر عند الباب الكبير،

وبينهما الخاتون زوجة ابن سنان حاسرة عن وجهها، وقرىء التقليد هناك والحالة كذلك، وحين ذكر اسم هولاكو نثر الذهب والفضة فوق رؤوس الناس، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قبّح الله ذلك القاضي والأمير والزوجة والسلطان(١).

ولما كسر الملك المظفّر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أُبّهة عظيمة وفرح به الناس فرحاً شديداً، ودعوا له دعاءً كثيراً، وأقرّ صاحب حمص الملك الأشرف عليها، وكذلك المنصور صاحب حماة، واستردّ حلب من يد هولاكو، وعاد الحق إلى نصابه ومهّد القواعد، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التتار عن حلب ويتسلمها ووعده ببنيانها، فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها غيره وهو علاء الدين بن صاحب الموصل، وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما واقتضت قتل الملك المظفّر قطز سريعاً، ولله الأمر من قبل ومن بعد(٢).

٢٠ ـ نبذة عن الملك المظفّر قطز بن عبد الله:

هو سيف الدين التركي، أخصّ مماليك المعزّ التركاني، أحد مماليك الصالح أيوب بن الكامل. لما قتل أستاذه المعزّ قام في تولية ولده نور الدين المنصور علي، فلما سمع بأمر التتار خاف أن تختلف الكلمة لصغر ابن أستاذه فعزله ودعا إلى نفسه، فبويع

(١) البداية والنهاية، ١٤/٢٦.
(٢) البداية والنهاية، ١٤/٤٧.

في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة. ثم سار إلى التتار فجعل الله على يديه نصرة الإسلام، وقد كان شجاعاً بطلاً كثيرَ الخير ناصحاً للإسلام وأهله، وكان الناس يحبّونه ويدعون له كثيراً[1].

ذُكِرَ عنه أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت قتل جواده ولم يجد أحداً في الساعة الراهنة من الـوشاقيـة الذين معهم الجنائب، فترجّل وبقي واقفاً على الأرض ثابتاً، والقتال عمّال في المعركة، وهو في موضع السلطان من القلب، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبنّها فامتنع وقال لذلك الأمير: ما كنت لأحرم المسلمين نفعك.

ولم يزل كذلك حتى جاءته الوشاقية بالخيل فركب، فلامه بعض الأمراء وقال: يا خوند لِمَ لا ركبت فرس فلان؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسلام بسببك، فقال: أما أنا فكنت أروح إلى الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيّعه، قد قتل فلان وفلان حتى عدّ خلقاً من الملوك، فأقام للإسـلام مَن يحفظه غيرهم، ولم يضيع الإسلام[2].

٢١ ـ نبذة عن آراء شيخ الإسلام ابن تيمية:

أولاً:

اختلاف الأمة في العبادات واتّباع السُنّة والجماعة فيها:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وأثابه: **قاعدة في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الأمة في الرواية والرأي مثل الأذان والجَهْر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الأيدي فيها ووضع الأكف فوق الأكف، ومثل التمتّع والإفراد والقران في الحج ونحو ذلك، فإن التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعاً من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنين[1].**

أحدها:

جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذي يحبّه الله ورسوله والذي سنّه رسول الله ﷺ لأمته والذي أمرهم باتّباعه[2].

الثاني:

ظلم كثير من الأمة أو أكثرهم بعضهم بعضاً وبغيهم عليهم تارة بنهيهم عمّا لم يَنْه الله عنه ويحضّهم على ما لم يحضّهم الله عليه، وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصِلتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثرونه، حتى يقدّمون في الموالاة والمحبة وإعطاء الأموال والولايات مَن يكون مؤخراً عند الله ورسوله، ويتركون مَن يكون مقدّماً عند الله ورسوله لذلك[3].

---

(١) خلاف الأمة في العبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

الثالث:

اتّباع الظن وما تهوى الأنفس حتى يصير كثير منهم مديناً باتّباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الأهواء من جنس ما في أهل الأهواء الخارجين عن السُنّة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم. وقد قال تعالى في كتابه: ﴿ **ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله. إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾[1]، وقال في كتابه: ﴿ **لا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل** ﴾[2].

الرابع:

التفرّق والاختلاف، المخالف للاجتماع والائتلاف، حتى يصير بعضهم يبغض بعضاً ويُعاديه ويحبّ بعضاً ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلّي بعضهم خلف بعض. وهذا كله من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله، والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تُقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ - إلى قوله: - ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم**

---

(١) سورة صّ، آية: ٢٦.

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٧.

البيّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيم. يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ﴾[1]. قال ابن عباس تبيضّ وجوه أهل السُنّة، وتسودّ وجوه أهل البدعة والفرقة[2].

الخامس:

هو شك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السُنّة والجماعة عليه متفقون، بل وفي بعض ما عليه أهل الإسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل المِلَل متّفقون، وذلك من جهة نقلهم وروايتهم تارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى، أما الأول فقد علم الله الذِكْر الذي أنزله على رسوله وأمر أزواج نبيّه بذكره حيث يقول: **﴿ واذكرن ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة ﴾**[3] حفظه من أن يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزله قبله كما عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة فعصم حروف التنزيل أن تغيّر، وحفظ تأويله أن يضلّ فيه أهل الهدى المتمسّكون بالسُنّة والجماعة، وحفظ أيضاً سُنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمّا لُبِسَ فيها من الكذب عمداً أو خطأً بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفّاظه الذين فحصوا عنها وعن نقلتها ورُواتها وعلموا من ذلك ما لم يعلم غيرهم حتى صاروا مُجمِعين على ما تلقّوه بالقبول منها إجماعاً معصوماً من الخطأ لأسباب يطول وصفها في هذا الموضع،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٦.
(٢) خلاف الأمة في العبادات، ص ٨.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٤.

وعلموا، هم خصوصاً وسائر علماء الأمة بل وعامّتها عموماً ما صانوا به الدين عن أن يُزاد فيه أو ينقص منه، مثلما علموا أنه لم يفرض عليهم في اليوم والليلة إلّا الصلوات الخمس، وأن مقادير ركعاتها بين الثنائي والثلاثي والرباعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم إلا شهر رمضان ومن الحج إلا حجّ البيت العتيق ومن الزكاة إلا فرائضها المعروفة إلى نحو ذلك، وعلموا كذب أهل الجهل والضلالة فيما قد يأثرونه عن النبي ﷺ لعلمهم بكذب مَن يزعم من الرافضة أن النبي ﷺ نصّ على عليّ بالخلافة نصّاً قاطعاً جليّاً، وزعم آخرين أنه نصّ على العبّاس، وعلموا أكاذيب الرافضة والناصبة التي يأثرونها في مثل الغزوات التي يروونها عن عليّ وليس لها حقيقة كما يرويها المكدّون الطرقية ـ مثل أكاذيبهم الزائدة في سيرة عنتر والبطال حيث علموا مجموع مغازي رسول الله ﷺ وأن القتال فيها كان في تسعة مغازٍ فقط ولم يكن عدّة المسلمين ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين ألفاً ـ ومثل الفضائل المرويّة ليزيد بن معاوية ونحوه، والأحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الأرجاء ونحوه، والأحاديث التي يرويها كثير من النُسّاك في صلوات أيام الأسبوع وفي صلوات أيام الأشهر الثلاثة، والأحاديث التي يروونها في استماع النبي ﷺ هو وأصحابه وتواجده وسقوط البردة عن ردائه، وتمزيقه الثوب وأخذ جبريل لبعضه وصعوده به إلى السماء، وقتال أهل الصُّفّة مع الكفّار، واستماعهم لمناجاته ليلة الإسراء، والأحاديث المأثورة في نزول الرب إلى الأرض يوم عَرَفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي ﷺ له في الأرض بعين رأسه، وأمثال هذه الأحاديث المكذوبة التي

يطول وصفها، فإن المكذوب من ذلك لا يحصيه أحد إلاّ الله تعالى لأن الكذب يحدث شيئاً فشيئاً ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي ﷺ وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الأنبياء[١].

٢٢ ـ نبذة من أقوال ابن تيمية حول منشأ السيئات:

يقول ابن تيمية رحمه الله: «فأصل ما يوقِع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها تضرّهم ضرراً راجحاً أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً»[٢].

وفي الحقيقة: فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل، والا فلو كان عالماً علماً نافعاً بأن فعل هذا يضرّه ضرراً راجحاً، لم يفعله، فإن هذا خاصيّة العقل. ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضرّه ضرراً راجحاً، كالسقوط من مكان عالٍ، أو في نهر يغرقه، أو المرور بجنب حائط مائل، أو دخول نار متأجّجة، أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله، لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه، ومَن لم يعلم أن هذا يضرّه، كالصبي، والمجنون، والساهي، والغافل ـ فقد يفعل ذلك ـ[٣].

ومَن أقدم على ما يضرّه ـ مع علمه بالضرر عليه ـ فلظنه أن منفعته راجحة.

---

(١) خلاف الأمة في العبادات، ص ١٢ ـ ١٣.
(٢) الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام، ص ٦٠.
(٣) انظر المصدر السابق.

فأما أن يجزم بضرر مرجوح، أو يظن أن الخير راجح فلا بدّ من رجحان الخير، إما في الظن وإما في المظنون، كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار البعيدة للربح. فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر، لكنه يترجح عنده السلامة والربح. وإن كان مخطئاً في هذا الظن.

وكذلك الذنوب إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع، لم يسرق، وكذلك الزاني: إذا جزم بأنه يرجم، لم يزنِ، والشارب يختلف حاله، فقد يقدم على جلد أربعين وثمانين، ويديم الشرب مع ذلك، ولهذا كان الصحيح: أن عقوبة الشارب غير محدودة، بل يجوز أن تنتهي إلى القتل. إذا لم ينتهِ إلا بذلك، وكما جاءت بذلك الأحاديث (١).

وكذلك العقوبات متى جزم طالب الذنب بأن يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله، بل إما أن لا يكون جازماً بتحريمه، أو يكون غير جازم بعقوبته، بل يرجو العفو بحسنات، أو توبة، أو بعفو الله، أو يغفل عن هذا كله. ولا يستحضر تحريماً، ولا وعيداً. فيبقى غافلاً. غير مستحضر للتحريم: والغفلة من أضداد العلم (٢).

٢٣ ـ نبذة عن رأي ابن تيمية في خلق القرآن:

من المشهور أن قضية خلق القرآن كانت في عصر إمام أهل

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) الحسنة والسيئة، ص ٦٠.

السُنّة والجماعة «أحمد بن حنبل» رحمه الله تعالى، ورضي عنه، وقد أُوذي بسببها الإمام أحمد رحمه الله، وذلك في عصر «المأمون»، وكان سبب هذه الفتنة: المعتزلة الذين التفّوا حول المأمون.

وسوف نسوق خلال هذه الأسطر رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الفتنة. وكذلك رأيه في قضية الصفات التي كان لها موضع في ذلك العصر. ونضيف إلى ذلك ما قاله الإمام محمد أبو زهرة: إن الإمام أحمد بن خنبل يرى أن القرآن غير مخلوق. أو انتهى رأيه بعد دراسة الكتاب والسُنّة إلى هذا الرأي، وهو في هذا يعتمد على القرآن الكريم ويعتمد على الآثار، ويُحاكي مناهج السلف الصالح ولكنه لم يوجّهه التوجيه العقلي، ليسوغه في الفكر، لأنه لا يُعدّ ذلك من عمله، لأنه ليس بصاحب كلام، إذ أن ذلك النحو من التفكير، إنما يتوجه إليه علماء الكلام، وأهل الجدل والخصومات الذين كانوا يسندون آراءهم بأسناد من العقل، ولا يتقيدون بأن تكون أسنادهم من النقل[1].

وإذا كان أحمد لم يحاول محاولة عقلية لتسويغ رأيه في الفكر. فقد وجد بعده من العلماء مَن عمل على توضيح رأيه ببيان الدعامة العقلية التي يبني عليها، والأسس الفكرية التي يقوم عليها بناؤه، ومن هؤلاء ابن قتيبة وابن تيمية، وهما في سبيل ذلك فرّقا بين القرآن وقراءته، فالقرآن الذي يقرأ... كلام الباري سبحانه

---

(١) حياة أحمد بن حنبل، تأليف محمد أبو زهرة، ص ١٤٦.

وتعالى: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه** ﴾[1]، ولقول النبيّ ﷺ: «زيّنوا القرآن بأصواتكم»[2]. وقد سمع النبي ﷺ أبا موسى الأشعري وهو يقرأ القرآن، فقال له أبو موسى: «لو علمت أنك تسمع لحبّرته لك تحبيراً».

وإذا كانت القراءة صوت العبد، فهي مخلوقة، كما أن العبد مخلوق.

ومثل القراءة المداد الذي تكتب به المصاحف. فهو ليس كلام الله سبحانه وتعالى، وإن كان المكتوب كلام الله، ولقد قال الله تعالى: ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي، ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾[3]، ففرّق سبحانه وتعالى بين المداد الذي تُكتَب به كلماته وبين كلماته[4].

هذه هي قراءة القرآن والمداد الذي يكتب به لا يماري أحد في أنها مخلوقة والمروي عن أحمد ذلك. أما ذات القرآن الذي نزل به جبريل على محمد ﷺ فهو كلام الله ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾[5]. وإذا كان كلام الله سبحانه وتعالى، فهو يتصل بصفة من صفاته تعالت ذاته وصفاته

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦.
(٢) رواه البخاري في التوحيد ٥٢، وأبو داود في الوتر ٢٠.
(٣) سورة الكهف، آية: ١٠٩.
(٤) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٣/٢١، ٢٢ طبع المنار.
(٥) سورة الشعراء، آية ١٩٣.

علوّاً كبيراً، وذلك بألفاظه ومعانيه وعباراته، فكلها يتصل بصفات الله سبحانه وتعالى. والعلماء بالنسبة لصفات الله سبحانه وتعالى على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى:

تنفي أن يكون الله سبحانه متّصفاً بصفة من صفات المعاني كالقدرة والإرادة والعلم والكلام والسمع والبصر. وإلا كانت صفات الله قديمة بقِدَم ذاته، فيتعدّد القدماء وهؤلاء هم المعتزلة، ويعدّون الصفات المذكورة في القرآن الكريم، والتي سيقت مساق النعت له سبحانه وتعالى أسماء له تعالى لا صفات، وإذا كانت ذات الله سبحانه وتعالى بمعنى أنه خلقه، وأنشأه وجعله دالّاً على نبوّة سيّدنا محمد ﷺ بإعجاز العرب عن أن يأتوا بمثله، وعجزهم فعلاً عن ذلك، لما فيه من مزايا بيانية ليست في قدرتهم.

الطائفة الثانية:

طائفة تثبت الصفات للذات العليّة، ولكنها تقرّر أن الأفعال التي تكون بقدرة الله سبحانه وتعالى مخلوقة له جلّت قدرته، فالله سبحانه وتعالى متكلّم ولكنه يخلق الألفاظ والمعاني، فالقرآن على هذا مخلوق لله سبحانه وتعالى، كما أن الأشياء كلها مخلوقة لله سبحانه وتعالى بقدرته.

الطائفة الثالثة:

وهي الطائفة السلفية تقول إن الله سبحانه وتعالى متّصف

بالصفات التي ذُكِرت في القرآن الكريم نعتاً للذات العليّة، فهو متّصف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام، وغير ذلك من الصفات التي جاءت الآثار بها، لا يحكمون بأن الأفعال التي تصدر عن ذات الله سبحانه وتعالى تسمّى مخلوقة فلا يسمّى القرآن مخلوقاً، لأنه قائم بذات الله سبحانه وتعالى: ويقول في ذلك ابن تيمية: «السلف قالوا لم يزل الله متكلماً، إذا شاء، وإن الكلام صفة كمال، ومَن يتكلم أكمل ممّن لا يتكلم، وهو يتكلم، إذا شاء بالعربية، كما تكلم بالقرآن العربي، وما تكلم فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه فلا تكون الحروف التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المُنزَلة مخلوقة. لأن الله تكلّم بها[1].

٢٤ ـ شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وأمره بحبسه:

ولم يزل شيخ الإسلام رحمه الله بمصر يعلّم الناس، ويفتيهم، ويذكّر بالله ويدعو إليه، ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسيرات القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة إلى العصر، إلى أن ضاق منه وانحصر، واجتمع خلق كثير من أهل الخوانق والربط والزوايا.

واتفقوا على أن يشكو الشيخ إلى السلطان. فطلع منهم خلق إلى القلعة. وكان منهم خلق تحت القلعة، فكانت لهم ضجّة شديدة، حتى قال السلطان: ما لهؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء كلهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقي الدين بن تيمية، يشكون منه،

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، ٤٥/٣.

ويقولون: إنه يسبُّ مشايخهم، ويضع من قدرهم عند الناس، واستغاثوا منه، وأجلبوا عليه، ودخلوا على الأمراء في أمره، ولم يبقوا ممكناً.

وكان بعض الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له: إن الناس قد جمعوا لك جمعاً كثيراً. فيقول: حسبنا الله ونعم الوكيل. وأمــر مَـن يعقد له مجلساً بدار العدل. فعقد له مجلس يوم الثلاثاء في العشر الأُوَل من شوّال، من سنة سبع وسبعمائة. وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته، وقوّة قلبه، وصدق توكّله، وبيان حجته، ما يتجاوز الوصف. وكان وقتاً مشهوداً، ومجلساً عظيماً.

وقال له كبير من المخالفين: من أين لك هذا؟

فقال له الشيخ: من أين لا تعلمه.

وذكل بعض مَن حضر ذلك المجلس: أن الناس لما تفرقوا منه قام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه.

قال فجاء وجئت معه إلى موضع ـ ذكره ـ في دار العدل قال: فلما جلسنا استلقى الشيخ على ظهره، وكان هناك حجر لأجل تثقيل الحُصُر، فأخذه ووضعه تحت رأسه، فاضطجع قليلاً ثم جلس وقال له إنسان: يا سيدي قد أكثر الناس عليك، فقال: إن هما كالذباب. ورفع كفّه إلى فيه ونفخ فيه.

قال: وقام، وقمنا معه، حتى خرجنا. فأتى بحصان، فركبه وهو يختال بذؤابته. فلم أرَ أحداً أقوى قلباً، ولا أشدّ بأساً منه.

قال فلما أكثر الشكاية منه والملام، وأوسعوا من أجله الكلام. رُسِمَ بتفسيره إلى بلاد الشام.

فخرج للسفر ليلة الخميس ثاني عشر الشهر إلى جهة الشام ثم ردّ في يوم الخميس المذكور، وحُبس بسجن الحاكم بحارة الديلم، في ليلة الجمعة تاسع عشر شوّال.

قال: ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب، يلتهون بها عمّا هم فيه، كالشطرنج والنّرْدِ، ونحو ذلك من تضييع الصلوات.

فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشدّ الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة، والتوجّه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وعلّمهم من السُنّة ما يحتاجون إليه، ورغّبهم في أعمال الخير، وحرّضهم على ذلك حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيراً من الزَّوايا والرُّبُط والمدارس.

وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده وكثر المتردّدون إليه، حتى كان السجن يمتلىء بهم.

فلما أكثر اجتماع الناس به، وتردّدهم إليه ساء ذلك أعداؤه، وحَصِرَتْ صدورهم.

فسألوا نقله إلى الإسكندرية، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عَرِيَّة.

وأرادوا أن يبعد عنهم خبره.

أو لعلّهم يقتلونه فينقطع أثره.

فأرسل به إلى ثغر الإسكندرية، في ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة سلخ صفر من سنة سبع وسبعمائة.

٢٥ ـ ما ذكره البرزالي في حبس الشيخ بالإسكندرية:

وذكر الشيخ البرزالي وغيره: أن في شهر شوّال من سنة سبع وسبعمائة شكا شيخ الصوفية بالقاهرة ـ كريم الدين الإربلي، وابن عطاء، وجماعة نحو الخمسمائة ـ من الشيخ تقي الدين، وكلامه في ابن عربي وغيره: إلى الدولة.

فَرُدَّ الأمْر في ذلك إلى القاضي الشافعي.

وعقد له مجلس وادّعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت شيء منها، لكنه قال: إنه لا يُستغاث إلا بالله، حتى لا يُستغاث بالنبي ﷺ استغاثة ـ بمعنى العبادة ـ ولكنه يُتوسل به، ويُتشفّع به إلى الله.

فبعض الحاضرين قال: ليس في هذا شيء.

ورأى قاضي القضاة: بدر الدين، أن هذا فيه قلّة أدب. فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك. فقال القاضي: قد قلت له ما يُقال لمثله. ثم إن الدولة خيّروه بين أشياء وهي: الإقامة بدمشق أو بالإسكندرية بشروط، أو

الحبس، فاختار الحبس. فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزماً ما شُرط. فأجابهم فأركبوهم خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوّال. ثم أرسل خلفه من الغد بريداً آخر فردَّه. وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء.

فقال بعضهم له: ما ترى الدولة إلا الحبس.

وقال قاضي القضاة: وفيه مصلحة له.

واستتاب شمس الدين التونسي المالكي وأذِنَ له أن يحكم عليه. فتحيّر.

فقال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة.

فقال له نور الدين المأذون له في الحكم: فيكون في موضع يصلح لمثله.

فقيل له: ما ترى الدولة إلّا بمسمّى الحبس، فأُرسل إلى حبس القاضي، وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين بن بنت الأعزّ، لما حبس، وأذِنَ أن يكون عنده مَن يخدمه.

وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنْبِجي ووجاهته في الدولة. واستمر الشيخ في الحبس يُسْتَفْتَى ويقصده الناس ويزورونه وتأتيه الفتاوي المشكلة من الأمراء وأعيان الناس.

قال علم الدين: في ليلة الأربعاء، العشرين من شوّال من

سنة ثمانٍ وسبعمائة. طلب أخو الشيخ تقي الدين. فَوُجِدَ زَينُ الدين وعنده جماعة فرسم عليهم، ولم يوجد شرف الدين، ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين. فإنه حُمِلَ إلى المكان الذي فيه الشيخ. وهو قاعة الترسيم بالقاهرة. ثم إنه أخرِجَ في خامس صفر سنة تسع وسبعمائة.

قال: وفي الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا، وهي ليلة الجمعة توجه الشيخ تقي الدين من القاهرة إلى الإسكندرية، مع أمير مقدّم ولم يمكن أحد من جماعة من السفر معه. ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام، فحصل التألّم لأصحابه ومحبّيه، وضاقت الصدور وتضاعف الدعاء له.

قال صاحب العقود الدريّة: إن دخوله إلى الإسكندرية كان يوم الأحد. دخل من باب الخوخة إلى دار السلطان. ونقل ليلاً إلى برج في شرق البلد.

وصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه، ويتحدثون معه. وكان الموضع الذي هو فيه فسيحاً متّسعاً.

٢٦ ـ كتاب الشيخ شرف الدين إلى أخيه بدر الدين:

قال صاحب العقود الدريّة: قد رأيت كتاباً بخط الشيخ شرف الدين كتبه إلى أخيه بدر الدين بعد توجّه الشيخ إلى الإسكندرية يقول فيه:

من أخيه عن عبد الله بن تيمية:

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ الإمام العالِم الكبير بدر الدين، والَى الله عليه آلاءه وأتبعها، وأسبغ عليه نعمه وَنَوَّعها. ومنحه منحة وأيْنعها، وأيده بالقوة والتـأييد لإقـامة الحق على القريب والبعيد. غير مقصِّر ولا وانٍ، ولا مُفَتِّر ولا متوانٍ. بالرأي السديد، والعزم الوكيد، وجمعنا وإيّاه في هذه الدار على طاعته، وفي دار القرار في دار كرامته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبّيين والصدّيقين والشهداء والصالحين أهل ولايته إنه ذو الفضل العظيم، والمنِّ الجسيم، والطول العميم.

أما بعد: فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إلّه إلّا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير. وأُصلّي على سيّد ولد آدم، وخير خلق الله أجمعين، وسيّد رُسُل ربّ العالمين: إلى الأسود، والأحمر، والجنّ والإنس. بشيـراً للمؤمنين، ونذيـراً للكافرين أتَمَّ الصلاة وأفضلها، وأشرقها وأكملها، دائمة إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيـراً. وبعد: فنحن والجماعة في نِعَم الله الكاملة، ومِننه الشاملة، التي تفوت العدَّ والإحصاء، وتعجز العقول عن تصورها ودركها، وتُحْصَر الألسنُ عن نعتها ووصفها، فضلاً عن كتابتها. فنسأل الله العظيم أن يوزعنا شكرها، وأن يديمها علينا وعلى جميع الإخوان والمؤمنين. إنه الجوّاد الكريم.

فمنها: نزول الأخ الكريم بالثغر المحروس. فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً، يكيدون بها الإسلام وأهله، وظنوا أن ذلك يحصل عن قريب. فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة المعلومة،

وانعكست من كل الوجوه، وأصبحوا وما زالوا عند الله وعند العارفين من المؤمنين سود الوجوه. يتقطَّعون حسرات وندماً على ما فعلوه.

وأقبل أهل الثغر أجمعون إلى والأخ، متقبلين لما يذكره وينشره، من كتاب الله وسُنّة رسوله والحطّ والوقيعة في أعدائهما من أهل البِدَع والضلالات، والكفر والجهالات خصوصاً أخبث الملاحدة والاتحادية، ثم الجهمية.

واتفق أنه وجد بها إبليس إلحادهم، قد باض وفرخ ونصب بها عرشه ودَوَّخ، وأضلَّ بها فريقي السبعينية والعربية، فمزَّق الله فيها بقدومه الثغر جموعهم شِذَرَ مَذِرَ، وهتلك أستارهم وكشف مذهبهم وإلحادهم وكفرهم وأسرارهم وفضحهم واستتاب جماعات منهم، وتوَّب رئيساً من رؤسائهم، وإن كان عند عباد الله المؤمنين حقيراً. وصنّف هذا التائب كتاباً في كشف كفرهم وإلحادهم، وكان من خواص اللعين عدو الله ورسوله نصير الملحدين، واشتهر ذلك واستقرَّ عند عموم المؤمنين، وخواصّهم، من أميرٍ، وقاضٍ، وفقيهٍ، ومُفْتٍ، وشيخٍ، وعموم المجاهدين، إلا مَن شذَّ من الأغمار الجهّال، ومع الذلة والصغار، حذراً على نفسه من أيدي المؤمنين وألسنتهم، وعَلَتْ كلمةُ الله بها على أعداء الله ورسوله، ولُعنوا لعناً ظاهراً في مجامع الناس بالاسم الخاص. وصار بذلك عند نصير الملحدين المقيم المُقعدُ، ونزل به من الخوف والذل ما لا يعبّر عنه، وهمَّ أن يكيد كيداً آخر، فوقع ما وقع عندكم بالشام من الأمر المزعج، والكرب المقلق، والبلاء

العظيم والذل، واستعطاف مَن كانوا لا يلتفتون إليه، بالأموال والأنفس، والتذلّل، حتى رقَّ بعض الأصحاب لهم، فزُجِرَ عن ذلك. وقيل له: «ولا تأخذكم بهم رأفة في دين الله». إلى أمور كثيرة من المِحَن والبلاء، مما لا يمكن وصفه، فسأل الله العظيم أن يعجّل تمام النقمة عليهم، وأن يقطع دابرهم، وأن يريح عباده وبلاده منهم، وأن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده عليهم، وأن يوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يتمّها علينا وعلى سائر المؤمنين.

وغير خافٍ عنك سيرتنا:

إذا أعجبتك خصال المرء فكُنْهُ يكن منه ما لا يعجبك
فليس لذي المجد والكرامات إذا جئتها حاجةٌ بحبك

فأسأل الله العظيم، أن يُعينك ويمدّك، ويؤيدك بروح منه، وأن يُقِرَّ بك أعين المؤمنين، وأن يجزي بك الكفّار والمنافقين، وأن يوفّقك لما يحبه ويرضاه، وأن يتولّاك في جميع الأمور، ويُعينك على القيام فيها بما يرضي الله ورسوله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى السعيدة الكريمة الطيبة التي رضي عنها وأرضاها، وجعل بعد اجتماعنا بها الجنة دارها ومأواها، وأراها وجهه الكريم في دار النعيم، الوالدة التي منحها الله تعالى - في آخر عمرها - هذه الكرامة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، والدرجة العليَّة، وأكملُ السلام وأنماه.

وعلى جميع الأهل والأخوان، والأصحاب والمعارف والجيران، كبيرهم وصغيرهم، قريبهم وبعيدهم، كل فرد له السلام.

وغير خافٍ عنهم العجز عن حصرهم.

فالله تعالى يرضى عن جميعهم، ويجمعنا وإيّاهم ـ بعد نصر الدين ورسوله ـ على ما يحبّه ويرضاه.

وكُتب والخاطر مشغول بأمر المسلمين، لحدوث أمر يذكره لكم الشيخ عبد الله.

والحمد لله ربّ العالمين. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً.

قال الشيخ صاحب الدرر البهيّة في مناقب ابن تيمية: بقي الشيخ بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر، مقيماً ببرج مليح نظيف، له شُبَّاكان: أحدهما إلى جهة البحر، يدخل إليه مَن شاء، ويتردّد إليه الأكابر والأعيان، والفقهاء يقرأون عليه ويبحثون معه، ويستفيدون منه.

٢٧ ـ إحضار الشيخ من سجن الإسكندرية إلى القاهرة:

فلما دخل السلطان الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك، وقدومه إلى دمشق، وتوجهه منها إلى مصر ـ وكان قدومه إليها يوم عيد الفطر، من سنة تسع وسبعمائة ـ أنفذ لإحضار الشيخ من الإسكندرية في اليوم الثامن من شوّال. وخرج الشيخ منها متوجهاً إلى مصر، ومعه خلق من أهلها يودّعونه، ويسألون الله أن يردَّه إليهم. وكان وقتاً مشهوداً ووصل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر الشهر.

واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه وأكرمه وتلقّاه في مجلس، حَفَل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء، وأصلح بينه وبينهم.

قال صاحب العقود الدريّة: ولقد أخبرني بعض أصحابنا قال: أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي، قاضي العساكر المنصورة، فيما تذاكرت أنا وهو ذات ليلة، حين كان الشيخ تقيُّ الدين مُعتقلاً في القلعة المنصورة ـ يعني قلعة دمشق ـ وقد أشاع بعض الجَهَلَة وأرجف بعض المبغضين للسُّنّة بأخبار مختلفة، لا حقيقة لها، لكن وقع في نفوس أصحاب الشيخ من ذلك ما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان، وما ذاك إلا من شدة الشفقة والمحبة.

فقلت له ـ فيما تحدّثنا به ـ: إن الناس يقـولون: كيت وكيت. وإن الشيخ ربما يخرج من القلعة ويُدَّعى عليه، ويُعزَّر ويُطاف به.

فقال: يا فلان هذا لا يقع منه شيء، ولا يسمح السلطان ـ خلّد الله سعادته ـ بشيء من ذلك، وهو أعلم بالشيخ من كل هؤلاء وبعلمه ودينه.

ثم قال: أخبرك بأمر عجيب، وقع من السلطان في حق الشيخ تقي الدين، وذلـك حين توجّـه السلطان إلى الـديـار المصرية، ومعه القضاة والأعيان، ونائب الشام الأفرم.

فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته، وهرب سار والشنكير. واستقر أمر السلطان، جلـس يوماً في دَست السلطنة

وأُبَّهة الملك، وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده، وقضاة مصر عن يمينه، وقضاة الشام عن يساره ـ وذكر لي كيفية جلوسهم منه ـ كحسب منازلهم ـ قال:

وكان من جملة مَن هناك ابن صَصْرى، عن يسار السلطان، وتحته الصدر عليّ قاضي الحنفية، ثم بعده الخطيب جلال الدين، ثم بعده ابن الزملكاني. قال: وأنا إلى جانب ابن الزملكاني، والناس جلوس خلفه، والسلطان على مقعد مرتفع، فبينما الناس على ذلك جلوس، إذ نهض السلطان قائماً. فقام الناس، ثم مشى السلطان، فنزل عن تلك المقعدة، ولا ندري ما به، وإذا بالشيخ تقي الدين بن تيمية على الباب والسلطان قاصداً إليه فنزل السلطان عن الإيوان والناس قيام، والقضاة والأمراء والدولة.

فتسالم هو والسلطان وتكارثا. وذهبا إلى صُفَّة في ذلك المكان، فيها شباك إلى بستان، فجلسا فيها حيناً ثم أقبلا ـ ويد الشيخ في يد السلطان ـ فقام الناس، وكان قد جاء في غيبة السلطان تلك، الوزير فخر الدين بن الخليل، فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصري. فلما جاء السلطان جلس على مقعدته، وجاء الشيخ تقي الدين فجلس بين يدي السلطان على طرف مقعدته متربعاً.

فشرع السلطان يُثني على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناء القضاة والأمراء.

وكان وقتاً عجيباً، وذلك مما يسوء كثيراً من الحاضرين من أبناء جنسه.

وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد من أخصّ أصحابه أن يقوله.

ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أن أهل الذمّة قد بذلوا للديوان في كل سنة سبعمائة ألف درهم، زيادة على الجالية، على أن يعودوا إلى لبس العمائم البيض، والمعلّمة بالجمرة والصَّفرة والزرقة، وأن يُعْفَوا من هذه العمائم المصبَّغة كلها بهذه الألوان، التي ألزمهم بها ركن الدين الشاشنكير.

فقال السلطان للقضاة ومَنْ هناك. ما تقولون؟

فسكت الناس.

فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه، وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ويردُّ ما عرضه الوزير عنهم ردّاً عنيفاً، والسلطان يسكته بترفُّق وتؤدة وتوقير.

فبالغ الشيخ في الكلام. وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه.

حتى رجع السلطان عن ذلك، وألزمهم بما هي عليه، واستمرّوا على هذه الصفة. فهذه من حسنات الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ورضي الله عنه آمين.

قال: هذا ما أخبرني به رحمه الله.

وكنت جلست يوماً إلى قاضي القضاة: صدر الدين قاضي الحنفية فقال لي: وهو يضحك: تحب الشيخ تقي الدين بن تيمية؟

فقلت: نعم.

فقال: والله تحبّ شيئاً مليحاً، وحكى لي قريباً مما ذكر ابن القلانسي، لكن ابن القلانسي أبسط وأتم.

٢٨ ـ حلم الشيخ وعفوه عمّن ظلمه:

قال الشيخ صاحب الدّرر البهيّة: سمعت الشيخ تقي الدين رحمه الله يذكر أن السلطان لما جلس بالشباك أخرج من جيبه فتاوي لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم. قال: ففهمت مقصوده أن عنده حنقاً شديداً عليهم، لما خلعوه، وبايعوا الملك المظفّر ركن الدين بيبرس الجاشنكير. فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حلٍّ من حقّي ومن جهتي وسكّنت ما عنده عليهم.

قال: فكان القاضي زين الدين بن مخلوف ـ قاضي المالكية ـ يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نبقَ ممكناً في السعي فيه. ولما قَدَرَ علينا عفا عنّا.

ثم إن الشيخ ـ بعد اجتماعه بالسلطان ـ نزل إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين، وعاد إلى بثّ العلم ونشره،

والخلق يشتغلون عليه ويقرأون، ويستفتـونه ويجيبهم بـالكلام والكتابة، والأمراء الأكابر والناس يتردّدون إليه. وفيهم مَن يعتذر إليه ويتنصّل مما وقع.

فقال: قد جعلت الكل في حلٍّ مما جرى.

٢٩ ـ قيام جماعة من الغوغاء على الشيخ بجامعٍ مصر وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصاراً للشيخ ثم صفحه هو عمّن آذوه:

فلما كان في رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة جاء رجل فيما بلغني «أي بلغ الشيخ صاحب الدّرر» إلى أخيه الشيخ شرف الدين، وهو في مسكنه بالقاهرة. فقال له: إن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ، وتفردوا به وضربوه.

فقال: حسبنا الله ونِعمَ الوكيل. وكان بعض أصحاب الشيخ جالساً عند شرف الدين. قال: فقمت من عنده، وجئت إلى مصر، فوجدت خلقاً كثيراً من الحسينية وغيرها رجالاً وفرساناً يسألون عن الشيخ، فجئت فوجدته بمسجد الفخْر كاتب المماليك على البحر، واجتمع عنده جماعة، وتتابع الناس. وقـال له بعضهم: يا سيدي، قد جاء خلق من الحسينية، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا.

فقال لهم الشيخ: لأيّ شيء؟ قالوا: لأجلك. فقال لهم: هذا ما يحقّ.

فقالوا: نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرّب دورهم، فإنهم شَوّشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس. فقال لهم: هذا ما يحلّ.

قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معك يحلّ؟ هذا شيء لا نصبر عليه، ولا بدّ أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا. والشيخ ينهاهم ويزجرهم.

فلما أكثروا في القول قال لهم: إما أنٍ يكون الحق لي، أو لكم، أو لله. فإن كان الحق لي فهم في حِلٍّ منه، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا منّي ولم تستفتوني فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله، فالله يأخذ حقّه إن شاء كما يشاء.

قالوا: فهذا الذي فعلوه هو حلال لهم؟

قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مُثابين عليه مأجورين فيه. قالوا: فتكون أنت على الباطل وهم على الحق؟ فإذا كنت تقول: إنهم مأجورون فاسمع منهم ووافقهم على قولهم. فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون. فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمجتهد المخطىء له أجْر. فلما قال لهم ذلك قالوا: فقُمْ واركب معنا، حتى نجيء إلى القاهرة.

فقال: لا وسأل عن وقت العصر، فقيل له: إنه قريب. فقام قاصداً إلى الجامع لصلاة العصر.

فقيل له: يا سيدي قد تواصوا عليك ليقتلوك، وفي الجامع قد يتمكّنون منك، بخلاف غيره، فصلٍّ حيث كان.

فأبى إلّا المضي إلى الجامع والصلاة فيه.

فخرج وتبعه خلق كثير لا يرجعون عنه، فضاقت الطريق بالناس، فقال له مَن كان قريباً منه: ادخل إلى هذا المسجد - مسجد في الطريق - واقعد فيه حتى يخفف الناس، لئلا يموت أحد من الزحام.

فدخل ولم يجلس فيه، ووقف وأنا معه. فلما خفّ الناس خرج يطلب الجامع العتيق فمرّ في طريق على قوم يلعبون بالشطرنج على مسطبة بعض حوانيت الحدّادين. فنفض الرقعة وقلبها، فَبُهِتَ الذي يلعب بها والناس من فِعْله ذلك.

ثم مشى قاصداً الجامع، والناس يقولون: هنا يقتلونه، الساعة يقتلونه.

فلما وصل إلى الجامع قيل: الساعة يغلق الجامع عليه وعلى أصحابه ويقتلون. فدخل الجامع ودخلنا معه. فصلّى ركعتين، فلما سلّم منها أذّن المؤذّن بالعصر، فصلّى العصر، ثم افتتح بقراءة: ﴿**الحمد لله ربّ العالمين**﴾[1]، ثم تكلم في المسألة التي كانت الفتنة بسببها إلى أذان المغرب.

فخرج أتباع خصومه وهم يقولون: والله لقد كنّا غالطين في هذا الرجل لقيامنا عليه.

والله إن الذي يقوله هذا، هو الحق، ولو تكلم هذا بغير

(١) أول سورة الفاتحة.

الحق لم نمهله إلى أن يسكت، بل كنّا نبادر إلى قتله، ولو كان هذا يُبطِن خلاف ما يُظهِر لم يُخفَ علينا. وصاروا فرقتين يخاصم بعضه بعضاً.

قال: ورُحنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمّه على البحر فبتنا عنده.

٣٠ ـ واقعة أخرى في أذى الشيخ:

قال الشيخ علم الدين: وفي العشر الأوسط من رجب من سنة إحدى عشر وسبعمائة وقع أذى في حق الشيخ تقي الدين بمصر، وظفر به بعض المبغضين له في مكانٍ خالٍ، وأساء عليه الأدب، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له. فلم يجب إلى ذلك. وكتب إليّ المقاتلي يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر، يُعرَف بالمبدي. حصل منه إساءة أدب، ثم بعد ذلك طلب وتودّد وشفع فيه جماعة، والشيخ ما تكلّم ولا اشتكى. ولو حصل منه شكوى أُهين ذلك غاية الإهانة، لكن قال: أنا ما أنتصر لنفسي.

وأقام الشيخ بعد ذلك مدة بالديار المصرية.

٣١ ـ كتاب للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق:

قال فيه: بعد حمد الله تعالى، والصلاة على نبيّه ﷺ. أما بعد: فإن الله ـ وله الحمد ـ قد أنعم عليّ من نِعَمه العظيمة،

وبالجملة، مما ذكره الشيخ تقي الدين على الوجه المذكور الموقوف عليه، لم يستحق عليه عقاباً، ولا يوجب عقاباً.

والمراحم السلطانية أحرى بالتوسعة، والنظر بعين الرأفة والرحمة إليه وللآراء المالكية علوّ المزيد.

حرّره ابن الكتبي الشافعي، حامداً الله على نِعَمه.

٣٢ ـ معاملة الشيخ في سجنه بالقلعة:

قال صاحب العقود الدريّة: وما زال الشيخ تقي الدين رحمه الله في هذه المدّة معظّماً مكرّماً، يكرمه نقيب القلعة ونائبها إكراماً كثيراً، ويستعرضان حوائجه، ويبالغان في قضائها. وكان ما صنّفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده، وكتبه بعض أصحابه، واشتهر، وظهر.

فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده كله، ولم يبقَ عنده كتاب ولا ورقة، ولا دواة، ولا قلم، وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه يكتبها بفحم.

٣٣ ـ خروج الشيخ إلى الشام مع الجيش المصري:

ثم إنه توجّه إلى الشام، في صحبة الجيش المصري قاصد الغَزَاة. فلما وصل معهم إلى عسقلان، توجّه إلى بيت المقدس، وتوجّه منه إلى دمشق، وجعل طريقه إلى عَجْلان، وبعض بلاد السواد، وزُرَعَ، ووصل إلى دمشق في أول يوم مع شهر ذي القعدة

سنة اثنتي عشرة وسبعائة، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقّيه، وسُرّوا سروراً عظيماً بمقدمه وسلامته وعافيته.

وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جُمَع. وقد توفي في أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم.

٣٤ ـ كتاب الشيخ إلى والدته وإلى غيرها:

قال صاحب الدّرر: وقد وقفت على عدة كتب بخط الشيخ، بعثها من مصر إلى والدته، وإلى أخيه لأمه: بدر الدين، وإلى غيرهما.

منها كتاب إلى والدته يقول فيه:

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة، أقرّ الله عينها بنِعمه، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخدمه.

سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته:

فإنّا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير. ونسأله أن يصلّي على خاتم النبيّين، وإمام المتّقين، محمد عبده ورسوله. صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً.

كتابي إليكم عن نِعَم من الله عظيمة، ومِنَن كريمة، وآلاء جسيمة نشكر الله عليها، ونسأله المزيد من فضله. ونِعَم الله كلما

جاءت في نموٍّ وازدياد، وأياديه جلّت عن التعداد.

وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد، إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا. ولسنا والله مختارين للبُعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه، وأنتم لو اطّلعتم على باطن الأمور، فإنكم - ولله الحمد - ما تختارون الساعة إلا ذلك، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهراً واحداً، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعوا لنا بالخيرة، فنسأل الله العظيم أن يخيّر لنا ولكم وللمسلمين، ما فيه الخيرة. في خير وعافية. ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة، والهداية والبركة، ما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، ونحن في وقت مهمومون بالسفر، مستخيرون الله سبحانه وتعالى.

فلا يظن الظانّ أنّا نؤثر على قربكم شيئاً من أمور الدنيا قطّ. بل ولا نؤثر من أمور الدين، ما يكون قربكم أرجح منه، ولكن ثَمَّ أمور كبار، نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

والمطلوب، كثرة الدعاء بالخيرة، فإن الله يعلم، ولا نعلم، ويقدّر ولا نقدّر، وهو علّام الغيوب. وقد قال النبيّ ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارته الله، ورضاه بما يقسم الله له، ومن شقاوة ابن آدم. ترك استخارته، وسخط بما يقسم الله له»[1]. والتاجر

(١) رواه أحمد في المسند ١/١٦٨، والترمذي في القدر ١٥.

يكون مسافراً فيخاف ضياع بعض ماله، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه. وما نحن فيه أمر يجلّ عن الوصف، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، كثيراً، كثيراً. وعلى سائر مَن في البيت من الكبار والصغار، وسائر الجيران، والأهل والأصحاب واحداً واحداً.

والحمد لله ربّ العالمين. وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً..

٣٥ ـ عودة التتار إلى الشام وخروج الشيخ ابن تيمية إلى مصر لحثّ مَن بها من الحكّام والجنود على الخروج لجهاد العدو ودفع التتار عن الشام:

في أول ربيع الآخر قوي الإرجاف بأمر التتر، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة ونودي في البلدان تخرج العامّة مع العسكر، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك، فاستعرضوا في أثناء الشهر فعرض نحو خمسة آلاف من العامّة بالعدّة والأسلحة على قدر طاقتهم، وقنت الخطيب ابن جماعة في الصلوات كلها، واتّبعه أئمة المساجد، وأشاع المرجفون بأن التتر قد وصلوا إلى حلب وأن نائب حلب تقهقر إلى حماة، ونودي في البلد بتطييب قلوب الناس وإقبالهم على معايشهم، وأن السلطان والعساكر واصلة، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموا، ولكن كانوا قد

استخرجوا أكثر مما أُمروا به وبقيت بواقي على الناس الذين قد اختفوا فعفي عمّا بقي، ولم يرد ما سلف، لا جرم أن عواقب هذه الأفعال خسر ونكر، وأن أصحابها لا يفلحون، ثم جاءت الأخبار بأن سلطان مصر رجع عائداً إلى مصر بعد أن خرج منها قاصداً الشام، فكثر الخوف واشتدّ الحال، وكثرت الأمطار جداً، وصار بالطرقات من الأوحال والسيول ما يحول بين المرء وبين ما يريده من الانتشار في الأرض والذهاب فيها، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وخرج كثير من الناس خفافاً وثقالاً يتحملون بأهليهم وأولادهم، والمدينة خير لهم ولو كانوا يعلمون، وجعلوا يحملون الصغار في الوحل الشديد والمشقّة على الدواب والرِقاب، وقد ضعفت الدوابّ من قلّة العلف مع كثرة المطر والزلق والبرد الشديد والجوع وقلّة الشيء فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. وكان ذلك في سنة سبعمائة من الهجرة النبوية(١).

واستهلّ جمادى الأولى والناس خطبة صعبة من الخوف، وتأخر السلطان واقترب العدو، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر وكان يوم السبت إلى نائب الشام في المرج فثبتهم وقوى جأشهم وطيّب قولهم ووعدهم النصر والظفر على الأعداء، وتلا قوله تعالى: ﴿ **ومَن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنّه الله إن الله لعفوٌّ غفور** ﴾(٢).

---

(١) انظر البداية والنهاية، ١٠/١٤.

(٢) سورة الحج، آية: ٦٠.

وبات عند العسكر ليلة الأحد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والأمراء أن يركب على البريد إلى مصر يستحثّ السلطان على المجيء فساق وراء السلطان، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه إلا وقد دخل القاهرة وتفارط الحال، ولكنه استحثّهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة، وقال لهم فيما قال: إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغلّه في زمن الأمن، ولم يزل بهم حتى جرّدت العساكر إلى الشام... فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح النصر فرحاً شديداً بعد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر، وتحقّق عود السلطان إلى مصر، ونادى ابن النحاس متولّي البلد في الناس مَن قدر على السفر فلا يقعد بدمشق، فتصايح النساء والولدان، ورهق الناس ذلّة عظيمة وخمدة، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وغلقت الأسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلّا الله عزّ وجل، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقوَ على التقاء الجيش التتري فكيف به الآن وقد عزم على الهرب؟ ويقولون: ما بقي أهل دمشق إلا طعمة للعدو، ودخل كثير من الناس إلى البراري والقِفار والمُغُر بأهاليهم من الكبار والصغار، ونُودي في الناس مَن كانت نيّته الجهاد فليلحق بالجيش فقد اقترب وصول التتر، ولم يبقَ بدمشق من أكابرها إلّا القليل، وسافر ابن جماعة والحريري وابن صصري

وابن منجا، وقد سبقهم بيوتهم إلى مصر، وجاءت الأخبار بوصول التتر إلى سرقين، وخرج الشيخ زين الدين الفارقي، والشيخ إبراهيم الرقّي وابن قوّام وشرف الدين بن تيمية وابن خبارة إلى نائب السلطنة الأفرم فقوّوا عزمه على ملاقاة العدو، واجتمعوا بمهنا، أمير العرب فعرضوه على قتال العدو فأجابهم بالسمع والطاعة، وقويت نيّاتهم على ذلك، وخرج طلب سلامر من دمشق إلى ناحية المرج، واستعدّوا للحرب والقتال بنيّات صادقة.
وحينما وردت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، وأنهم عازمون على دخول مصر، فانزعج الناس لذلك، وازدادوا ضعفاً على ضعفهم، وطاشت عقولهم وألبابهم، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشويك والحصون المنيعة، فبلغت الحمارة بمصر خمسمائة، وبيع الجمل بألف والحمار بخمسمائة، وبيعت الأمتعة والثياب والمغلات بأرخص الأثمان، وجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرّض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في القرار، ورغّب في إنفاق الأموال في الذبّ عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما ينفق في أجرة الهرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً، وأوجب جهاد التتر حتماً في هذه الكرّة، وتابع المجالس في ذلك، ونودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة فتوقف الناس عن السير وسكن جأشهم، وتحدّث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر، وزفّت البشائر لخروجه، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق

كبيت ابن صصري وبيت ابن فضل الله وابن منجا وابن سويد وابن الزملكاني وابن جماعة[1].

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولىٰ على البريد، وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يحثّهم على الجهاد والخروج إلى العدو، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج، وقد غلت الأسعار بدمشق جداً، حتى بيعَ خاروفان بخمسمائة درهم، واشتدّ الحال، ثم جاءت الأخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعاً عامه ذلك لضعف جيشه وقلّة عددهم، فطابت النفوس لذلك، وسكن الناس، وعادوا إلى منازلهم منشرحين آمنين مستبشرين[2]. وبعد: فهذه لمحة موجزة عن عصر الشيخ رحمه الله، ليستبان للقارىء في أيّ العصور نشأ الشيخ. رحمه الله.

٣٦ ـ ذِكْر ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية:

في يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأباق، وحضر الشيخ تقيّ الدين بن تيمية، فسألوا مَنْ نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكفّ الشيخ تقي الدين إمامهم عنهم، وأن يسلّم لهم حالهم.

فقال لهم الشيخ: هذا ما يمكن، ولا بدّ لكل أحد أن يدخل

---

(١) انظر البداية والنهاية، ج ١٤.
(٢) المصدر السابق.

تحت الكتاب والسُنّة قولاً وفعلاً، ومَن خرج عنها وجب الإنكار عليه.

فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوالهم الشيطانية التي يتعاطونها[1] في سماعاتهم، فقال الشيخ: تلك أحوال شيطانية باطلة، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان، ومَن أراد منهم أن يدخل النار، فليدخل أولاً إلى الحمام، وليغسل جسده غسلاً جيداً، ويدلّكه بالخلّ والأشنان، ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقاً.

ولو فرض أن أحداً من أهل البِدَع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن ذلك لا يدلّ على صلاحه، ولا على كرامته، بل حاله من أحوال الدجاجة المخالفة للشريعة إذا كان صاحبها على السُنّة، فما الظن بخلاف ذلك، فابتدر[2] شيخ المنيع الشيخ صالح، وقال: نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر، ليست تنفق عند الشرع، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة وكَثُرَ الإنكار عليهم من كل أحد، ثم اتفق الحال على أنهم[3] يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم، وأن مَن خرج عن الكتاب والسُنّة ضُرِبت عنقه.

وصنّف الشيخ جزءاً من طريقة الأحمدية، وبيّن فيه أحوالهم ومسالكهم وتخيّلاتهم، وما في طريقتهم من مقبول ومردود

---

(١) يتعاطونها: يفعلونها.
(٢) ابتدر: أسرع.
(٣) البداية والنهاية.

بالكتاب، وأظهر الله السنّة على يديه، وأخمد بِدعتهم، ولله الحمد والمنّة.

٣٧ ـ ذِكْر مجالس عقدتها الأحمدية للشيخ:

أ ـ المجلس الأول:

في يوم الاثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء، وفيهم الشيخ تقيّ الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر، وقُرِئت عقيدة الشيخ تقيّ الدين بن تيمية وهي العقيدة الواسطية، وحصل بحث في أماكن منها، وأخّرت مواضع إلى المجلس الثاني.

ب ـ المجلس الثاني:

في الثامن عشر من نفس الشهر اجتمعوا، وحضر الشيخ صفيّ الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقيّ الدين كلاماً كثيراً، ولكن ساقيته لاطمت بحراً، ثم اصطلحوا على أن يكون الشيخ كمال الدين بن الزملكاني هو الذي يحاققه من غير مسامحة، فتناظرا في ذلك، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني، وجودة ذهنه، وحُسْن بحثه، حيث قاوم ابن تيمية في البحث، وتكلّم معه ثم انفصل الحال على قبول العقيدة، وعاد الشيخ إلى منزله معظّماً مكرّماً.

قال ابن كثير: وبلغني أن العامّة حملوا الشيخ من باب النصر إلى القصاعين على جاري عادتهم في أمثال هذه الأشياء، وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في

ذلك، كان الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف والشيخ نصر الدين المليجي شيخ الجاشنكير وغيرهما من أعدائه.

وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في ابن المنبجي وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي، وكان للشيخ تقي الدين جماعة من الفقهاء يحسدونه، لتقدّمه عند الدولة، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الناس ومحبّتهم له، وكثرة أتباعه، وقيامه في الحق، ثم وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة.

وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ، وعزّر بعضهم، ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المزّي الحافظ قرأ فصلاً بالردّ على الجهمية من كتاب أفعال العباد للبخاري تحت قبّة النسر بعد قراءة ميعاد البخاري بسبب الاستسقاء، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين، وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصري وكان عدوّ الشيخ، فسجن المزّي، فبلغ الشيخ تقيّ الدين، فتألم لذلك، وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه، وراح إلى القصر، فوجد القاضي هنالك، فتقاولا بسبب الشيخ جمال الدين المزّي، فحلف ابن صصري لا بدّ أن يعيده إلى السجن، وإلا عزل نفسه، فأمر النائب بإعادته تطييباً لقلب القاضي، فحبسه عنده في القوصية أياماً، ثم أطلقه.

ولما قَدِمَ نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقي الدين ما جرى في حقه وحق أصحابه في غيبته، فتألّم النائب لذلك، ونادى في البلد

أن لا يتكلم أحد في العقائد، ومَن عاد إلى تلك حلّ ماله ودمه، ورتّبت داره وحانوته، فسكنت الأمور.

جـ ـ المجلس الثالث:

عقد هذا المجلس في اليوم السابع من شعبان بالقصر واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة، وفي هذا اليوم عزل ابن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين في المجلس المذكور، وهو من الشيخ كمال الدين.

ثم جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين من شعبان فيه إعادة ابن صصري إلى القضاء، وذلك بإشارة المنبجي، وفي الكتاب:

إنّا كنّا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تيمية، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس، وأنه على مذهب السلف، وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما ينسب إليه.

ثم جاء كتاب آخر في خامس رمضان يوم الاثنين، وفيه الكشف عن ما كان وقع للشيخ تقي الدين بن تيمية في أيام جاثمات، والقاضي إمام الدين القزويني، وأن يحمل هو والقاضي ابن صصري إلى مصر، فتوجّها على البريد نحو مصر، وخرج مع الشيخ خلق من أصحابه، وبكوا وخافوا عليه نائب السلطنة ابن الأفرم بترك الذهاب إلى مصر.

وقال له: أنا أُكاتب السلطان في ذلك، وأصلح القضايا،

فامتنع الشيخ من ذلك، وذكر له أن في توجّهه لمصر مصلحة كبيرة، ومصالح كثيرة، فلما توجه لمصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة فيما بين دمشق والكسورة، وهم فيها بين باكٍ وحزين، ومتفرّج ومتنزّه، ومُزاحم متغالٍ فيه.

فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غزة، فعمل في جامعها مجلساً عظيماً، ثم دخلا معاً إلى القاهرة، والقلوب معه وبه متعلقة.

فدخلا مصر يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان، وقيل: إنهما دخلا يوم الخميس، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة، وأرادوا أن يتكلم على عادته، فلم يتمكن من البحث والكلام.

وانتدب له الشمس ابن عدنان خصماً احتساباً، وادّعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول: إن الله فوق العرش حقيقة، وإن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضي جوابه، وأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقيل له: أجب. ما جئنا بك لتخطب. فقال: ومَن الحاكم فيَّ؟ فقيل له: القاضي المالكي، فقال له الشيخ: كيف تحكم فيَّ وأنت خصمي! فغضب غضباً شديداً، وانزعج وأُقيم مرسماً عليه، وحبس في برج أياماً، ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن صصري، فإنه جدّد له توقيعاً بالقضاء بإشارة المنبجي شيخ الجاشنكير حاكم مصر، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذي القعدة، والقلوب له ماقتة، والنفوس منه نافرة، وقرىء تقليده بالجامع، وبعده قرىء كتاب فيه الحطّ على الشيخ تقيّ الدين، ومخالفته في العقيدة، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية، وألزم أهل مذهبه بمخالفته، وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير وشيخه المنبجي، وساعدهم جماعة كبيرة من الفقهاء والفقراء، وجرت فتن كثيرة منتشرة، نعوذ بالله من الفتن، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيهم كان قليل العلم مزجى البضاعة، وهو شرف الدين الحرّاني.

٣٨ ـ ملخّص ما حصل للشيخ في تلك المجالس:

ذكر الشيخ رحمه الله صورة ما جرى في هذه المجالس ملخّصاً، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ولا ظهير ولا معين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله إلى الخلق أجمعين. صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، وعلى سائر العباد الصالحين.

أما بعد: فقد سئلت غير مرة أن أكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصرية إلى نائب أمير البلاد لما سعى إليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد.

فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة: قضاة المذاهب الأربعة وغيرهم من نوّابهم والمفتين والمشايخ ممّن له حرمة وبه اعتداد، وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد، وذلك يوم الاثنين الثامن عشر رجب سنة خمس وسبعمائة، فقال لي:

هذا المجلس عقد لك، فقد ورد مرسوم الملك: أن أسألك عن اعتقادك، وعمّا كتبت به إلى الديار المصريّة من الكتب التي تدعو بها الناس إلى الاعتقاد.

وأظنه قال: وأن أجمع القضاة والفقهاء وتتباحثون في ذلك، فقلت: أما الاعتقاد، فلا يؤخذ عنّي ولا عمّن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله، وما أجمع عليه سلف الأمة فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل صحيح البخاري ومسلم.

وأما الكتب، فما كتبت إلى أحد ابتداء أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكنّي كتبت أجوبة أجبت بها مَن يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم.

وكان قد بلغني أنه زوّر عليّ كتاب إلى الأمير ركن الدين

الجاشنكير أستاذ دار السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرقة ولم أعلم بحقيقته، لكن علمت أن هذا مكذوب، وكان يـرد عليّ من مصر وغيرها مَن يسألني مسائل في الاعتقاد، أو غيره، فأُجيبه بالكتاب والسُنّة، وما كان عليه سلف الأمة.

فقال: نريد أن تكتب لنا عقيدتك.

فقلت: اكتبوا. فأمر الشيخ جمال الدين أن يكتب.

وكتبت له جمل الاعتقـاد في أبواب الصفـات والقدر، ومسائل الإيمان والوعيد والإمامة والتفضيل، وهو أن اعتقاد أهل السُنّة والجماعة:

الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيّف، ولا تمثيل، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها.

وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة ورضيها وأحبّها، ونهى عن المعصيـة وكرههـا، والعبد فـاعل حقيقة، والله خالق فعله، وأن الإيمان والدين قول وعمل يزيد وينقص، وأن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بالذنوب ولا نخلّد في النار من أهل الإيمان أحداً، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ:

أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم، وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة، ومَن قَدّم عليّاً على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

وذكرت هذا ونحوه، فإني الآن قد بَعُدَ عهدي، ولم أحفظ لفظ ما أمليته إذ ذاك.

ثم قلت للأمير والحاضرين: أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليَّ، كما قد كذبوا عليَّ غير مرة، وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون:

كتم بعضه، أو داهن ودارى، فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين، قبل مجيء التتر إلى الشام.

قلت: قبل حضورها كلاماً قد بَعُدَ عهدي به، وغضبت غضباً شديداً، لكنّي أذكر أنّي قلت:

أنا أعلم أنَّ أقواماً كذّبوا عليَّ، وقالوا للسلطان أشياء وتكلمت بكلام احتجت إليه، مثل أن قلت:

مَن قام بالإسلام في أوقات الحاجة غيري؟ ومَن الذي أوضح دلائله، وبيّنه، وجاهد أعدائه، وأقامه لما مال حين تخلّى عنه كل أحد، فلا أحد ينطق بحجّة، ولا أحد يجاهد عنه وقمت مُظهِراً لحجّته، مجاهداً عنه، مرغِّباً فيه؟

فإذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام فيّ، فكيف يصنعون بغيري؟ ولو أنّ يهودياً طلب من السلطان الإنصاف لوجب عليه أن ينصفه، وأنا قد أعفو عن حقّي، وقد لا أعفو، بل قد أطلب الإنصاف منه، وأن يحضر هؤلاء الذين يكذبون؛ ليحاققوا على افترائهم.

وقلت كلاماً أطول من هذا الجنس، لكن بعد عهدي به، فأشار الأمير إلى كاتب الدرج محيي الدين أن يكتب ذلك، وقلت أيضاً: كلّ مَن خالفني في شيء فيما كتبته؛ فأنا أعلم بمذهبه منه.

وما أدري هل قلت هذا قبل حضورها، أو بعده؟ لكنني قلت أيضاً بحضورها وقراءتها ما ذكرت فيها فصلاً إلاّ وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة، وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف.

ثم أرسلت مَن أحضرها ومعها كراريس بخطّي من المنزل، فحضرت العقيدة الواسطية.

وقلت لهم: هذا كان سبب كتابتها: أنه قَدِمَ من أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له: رضى الدين الواسطي، قَدِمَ علينا حاجّاً، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد، وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له، ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك وقلت:

قد كتب الناس عقائد متعددة، فخذ بعض عقائد أئمة السُنّة، فألحّ في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر.

وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرها، فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا ـ لرفع الريبة ـ وأعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين، فقرأها على الحاضرين حرفاً حرفاً، والجماعة الحاضرون

يسمعونها، ويورد المورد منهم ما شاء، ويعارض فيما شاء، والأمير أيضاً يسأل عن مواضع فيها.

وقد علم الناس، ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى ما قد علم الناس بعضه، وبعضه بسبب الاعتقاد، وبعضه بغير ذلك.

ولا يمكن ذِكر ما جرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس؛ فإنه كثير لا ينضبط، لكن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك مع بُعْد العهد بذلك، ومع أنه كان يجري رفع أصوات، ولغط لا ينضبط، فكان مما اعترض عليه بعضهم لما ذكر في أولها:

«ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل».

فقال: ما المراد بالتحريف والتعطيل؟ ومقصوده: أن هذا ينفي التأويل الذي يثبته أهل التأويل الذي هو حرف اللفظ عن ظاهره إما جواباً وإما جوازاً.

فقلت: تحريف الكَلِم عن مواضعه، كما ذمّه الله في كتابه، وهو إزالة اللفظ عمّا دلّ عليه في المعنى، مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى: ﴿ **وكلّم الله موسى تكليماً** ﴾[1]، أي جرحه بأظافير الحكمة تجريحاً.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.

ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم من الجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم، فسكت وفي نفسه ما فيها.

وذكرت في غير هذا المجلس أن عدلت عن لفظ «التأويل» في كتاب الله غير معنى لفظ «التأويل» في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ «التأويل» في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف.

ولأن من المعاني التي قد تسمّى تأويلاً ما هو صحيح منقول عن بعض السلف، فلم أنفِ ما تقوم الحجّة على صحته إذا ما قامت الحجّة على صحته، وهو منقول عن السلف، فليس من التحرير.

وقلت له أيضاً: ذكرت في التقى «التمثيل»، ولم أذكر «التشبيه»؛ لأن «التمثيل» نفاه الله بنص كتابه، حيث قال: ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[1]، وقال: ﴿ **هل تعلم له سميّاً** ﴾[2]، فكان أحبّ إليّ من لفظ ليس في كتاب الله، ولا في سُنّة رسول الله ﷺ، وإن كان قد يعنى بنفيه معنًى صحيح، كما قد يعنى به معنًى فاسد.

ولما ذكرت أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرّفون الكَلِم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته جعل بعض الحاضرين يمنعني من ذلك؛ لاستشعاره ما في ذلك من الرد لما هو عليه، ولكن لم يتوجّه له ما يقوله، وأراد أن يدور عليّ بالأسئلة التي أعلمها، فلم يتمكّن؛ لعلمه بالجواب.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) سورة مريم، آية: ٦٥.

ولما ذكرت آية الكرسي أظن سأل الأمير عن قولنا: «لا يقربه شيطان حتى يصبح»[1]، فذكرت له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الذي كان يسرق صدقة الفطر، وذكرت أن البخاري رواه في صحيحه[2].

وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم، ويطنبون في هذا، ويُعرّضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك فقلت:

قولي: «من غير تكييف ولا تمثيل» ينفي كل باطل، وإنما أخذت هذين الاسمين؛ لأن «التكييف» مأثور نفيه عن السلف.

كما قال ربيعة[3] ومالك[4] وابن عيينة[5] وغيرهم المقالة

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق ١١ والدعوات ٦٥، ومسلم في الذكر ٢٧، والترمذي في الدعوات ٥٩ و٦٢، وابن ماجه في الدعاء ١٤، ومالك في القرآن ٢٠، وأحمد في المسند ٢/٣٠٢ و٣٧٥ و٤/٢٢٧.

(٢) رواه البخاري في الوكالة ١٠، وبدء الخلق ١١، وفضائل القرآن ١٠.

(٣) ربيعة هو: ابن أبي عبد الرحمن واسمه فروخ أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بربيعة الرأي، مولى آل المنكدر. قال يعقوب بن شيبة: ثقة ثَبْت. مات سنة ست وثلاثين ومائة. له ترجمة في: تاريخ بغداد ٨/٤٢٠، وتذكرة الحفاظ ١/١٥٧، وتهذيب الأسماء ١/١٨٩، وشذرات الذهب ١/١٤٩.

(٤) مالك هو: ابن أنس بن مالك بن أبي عامر، أبو عبد الله المدني، شيخ الأئمة، وإمام دار الهجرة. قال الشافعي: إذا جاء الأثر، فمالك النجم. مات سنة تسع وسبعين ومائة. له ترجمة في: البداية والنهاية ١٠/١٧٤، وتذكرة الحفاظ ١/٢٠٧، وتهذيب الأسماء ٢/٧٥، وحلية الأولياء ٦/٣١٣، والعِبَر ١/٢٧٢، واللباب ١/٥٥.

(٥) ابن عيينة هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد =

التي تلقّاها العلماء بالقبول: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بِدعة».

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا، فنفيت ذلك اتّباعاً للسلف، وهو أيضاً منفي بالنص، فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف، وحقيقة صفاته وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلّا الله، كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل، والمعنى، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام، وبين علمنا بتأويله.

وكذلك «التمثيل» ينفى بالنص والإجماع القديم مع دلالة الفعل على نفيه، ونفي التكييف؛ إذ كُنْه الباري تعالى غير معلوم للبشر.

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي[1] الذي نقل أنه مذهب السلف، وهو: «إجراء آيات الصفات وأحاديثها على

= الكوفي الأعور، أحد أئمة الإسلام. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. مات سنة ثمانٍ وتسعين ومائة. له ترجمة في: تاريخ بغداد ٩/١٧٤، وتذكرة الحفّاظ ١/٢٦٢، وحلية الأولياء ٧/٢٧٠، والرسالة المتطرفة ٤١.

(١) الخطابي هو: الإمام العلّامة المفيد المحدّث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطات البستي، صاحب التصانيف، صنّف «شرح البخاري»، و«معالم السُنن»، وغير ذلك، وكان ثقة من أوعية العلم. مات سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة. له ترجمة في: إرشاد الأريب ١/٨١، والبداية والنهاية ١١/٢٣٦، وتذكرة الحفاظ ٣/١٠١٨، والرسالة المستطرفة ٤٤، وشذرات الذهب ٣/١٢٧، والنجوم الزاهرة ٤/١٩٩.

ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها؛ إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يُحتذى فيه حذوه، وتتبّع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف».

فقال أحد كبراء المخالفين: فحينئذٍ يجوز أن يُقال: هو جسم لا كالأجسام.

فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين: إنما قيل: إنه يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وليس في الكتاب والسُنّة أنَّ الله جسم، حتى يلزم هذا السؤال، وأخذ بعض القضاة الحاضرين والمعروفين بالديانة يريد إظهار أن ينفي عنّا ما يقوله، فجعل يزيد في المبالغة من نفي التشبيه والتجسيم.

فقلت: قد ذكر فيها في غير موضع «من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تمثيل، ولا تكييف».

وقلت في صدرها: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل».

ثم قلت: «وما وصف الرسول به ربّه من الأحاديث الصِحاح التي تلقّاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك» إلى أن قلت:

«إلى أمثال هذه الأحاديث الصِحاح التي يخبر فيها رسول الله ﷺ بما يخبر به؛ فإن الفرقة الناجية، أهل السُنّة والجماعة،

يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمّة، كما أنّ الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهميّة، وأهل التمثيل المشبّهة».

ولما رأى هذا الحاكم العدل تحالفهم وتعصّبهم، ورأى قلّة المعاون منهم والناجي، وخافهم، وقال: أنت قد صنّفت اعتقاد الإمام أحمد، فتقول: هذا اعتقاد أحمد.

يعني: والرجل يصنّف على مذهبه، فلا يعترض عليه؛ فإن هذا مذهب متبوع، وغرضه بذلك: قطع مخاصمة الخصوم.

فقلت: ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبيّ ﷺ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول ﷺ لم نقبله، وهذه عقيدة محمد ﷺ.

وقلت مرات: قد أمهلت كلّ مَن خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبيّ ﷺ، حيث قال: «خير القرون: القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1]، يخالف ما ذكرته، فأنا أرجع عن ذلك، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف من

---

(١) رواه البخاري في الشهادات ٩، وفضائل أصحاب النبي ١، والرقاق ٧، والإيمان ١٠ و٢٧، ومسلم في فضائل الصحابة ٢١٠ ـ ٢١٤، وأبو داود في السُنّة ٩، والترمذي في الفتن ٤٥، والشهادات ٤، وابن ماجه في الأحكام ٢٧، وأحمد في المسند ١/٣٧٨ و٤١٧.

القرون الثلاثة توافق ما ذكرته، من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية، والصوفية، وأهل الحديث، وغيرهم.

وقلت أيضاً من غير هذا المجلس: الإمام أحمد رضي الله عنه لما انتهى إليه من علم السُّنّة، ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلي بالمحنة، والردّ على أهل البِدَع أكثر من غيره كان كلامه وعمله في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إماماً في السُّنّة أظهر من غيره، وإلاّ فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء، قال: المذهب لمالك والشافعي(١)، والظهور لأحمد بن حنبل.

يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان، وإظهار الحق، ودفع الباطل ما ليس لبعض.

ولما جاء حديث أبي سعيد(٢) المتّفق عليه في الصحيحين عن النبيّ ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبّيك

---

(١) الشافعي هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطّلبي المكّي، نزيل مصر، إمام الأئمة، وقدوة الأمة. مات سنة أربع ومائتين. له ترجمة في: إرشاد الأريب ٣٦٧/٦، والأنس الجليل ٢٩٤/١، والبداية والنهاية ٢٥١/١٠، وتاريخ بغداد ٥٦/٢.

(٢) أبو سعيد هو: سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي المدني، كان من علماء الصحابة، وممّن شهد بيعة الشجرة. مات سنة أربع وسبعين. له ترجمة في: أسد الغابة ١٤٢/٦، وتاريخ بغداد ١٨٠/١، وتذكرة الحفّاظ ٤٤/١، وشذرات الذهب ٨١/١.

وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً إلى النار. . . .» الحديث.

سألهم الأمير: هل هذا الحديث صحيح؟ فقلت: نعم، هو في الصحيحين، ولم يخالفوا في ذلك، واحتاج المنازع إلى الإقرار به.

وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت؛ لأن ذلك طلب منه، فقلت: هذا الذي يحكيه كثير من الناس عن الإمام أحمد وأصحابه: أن صوت القارئين، ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مُفترى، لم يقل ذلك أحمد، ولا أحد من علماء المسلمين.

وأخرجت كرّاساً كان قد أحضر مع العقيدة، وفيه ما ذكر الشيخ أبو بكر الخلال في كتاب السُنّة عن الإمام أحمد، وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد، وكلام أئمة زمانه في:

«أن مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومَن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع».

قلت: فكيف بمَن يقول: لفظي قديم؟ فكيف بمَن يقول: صوتي غير مخلوق؟ فكيف بمَن يقول: صوتي قديم؟

وأحضرت جواب مسألة كنت سُئِلتُ قديماً عنها، فيمن حلف بالطلاق في مسألة الحرف والصوت، ومسألة الظاهر في العرض، وقلت: هذا جوابي.

وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعانـدين

المتجهمة ممّن كان بعضهم حاضراً في المجلس، فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم.

وكانوا قد ظنّوا أنّي إذا أجبت بما في ظنهم أنّ أهل السُنّة تقوله، حصل مقصودهم من الشناعة، وإن أجبت بما يقولونه هم، حصل مقصودهم من الموافقة.

فلما أُجيبوا بالفرقان الذي عليه أهل السُنّة، وليس هو ما يقولونه هم، ولا يتقولونه عن أهل السُنّة؛ إذ يقوله بعض الجهّال، بُهِتوا لذلك.

وفيه «إذ القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، ليس القرآن اسماً لمجرد الحروف، ولا لمجرد المعاني».

ولما جاءت مسألة القرآن، فقلت: «ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود» نازع بعضهم في كونه منه بدأ، وإليه يعود، وطلبوا تفسير ذلك.

فقلت: أما هذا القول، فهو المأثور الثابت عن السلف، مثل ما نقله عمرو بن دينار[1]، قال:

«أدركت الناس منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق وما

---

(١) عمرو بن دينار المكّي الجمحي أبو محمد، أحد الأعلام. قال ابن أبي نجيح: ما كان عندنا أفقه ولا أعلم من عمرو بن دينار. مات سنة خمس وعشرين ومائة. له ترجمة في: تذكرة الحفّاظ ١/١١٣، وتهذيب الأسماء ٢/٢٧، وشذرات الذهب ١/١٧١، والعِبَر ١/١٦٣، وطبقات الشيرازي ٧٠.

سواه مخلوق إلا القرآن؛ فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود».

وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبيّ ﷺ والصحابة والتابعين.

وأما معناه، فإن قوله: «منه بدأ» أي هو المتكلّم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهمية: إنه خلق الهواء أو غيره، أو بدأ من عند غيره.

وأما «إليه يعود» فإنه يسري به في آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا ينفى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف.

ووافق على ذلك غالب الحاضرين، وسكت المنازعون، وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن أريته العقيدة التي جمعها الإمام القادر بالله التي فيها «إن القرآن كلام الله خرج منه»، فتوقّف في هذا اللفظ.

فقلت: هكذا قال النبيّ ﷺ: «وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه»[1] يعني القرآن.

وقال خبّاب[2] بن الأرت: «يا هنتاه تقـرب إلى الله بما

(١) رواه الترمذي في ثواب القرآن ١٧.
(٢) خبّاب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، كنيته أبو عبد الله، شهد بدراً، نزل الكوفة، ومات بها سنة سبع وثلاثين. له ترجمة في: تهذيب التهذيب ٣/١١٥.

استطعت، فلن تتقرب إليه بشيء أحبّ إليه مما خرج منه».

وقال أبو بكر[1] الصديق رضي الله عنه لما قرأ عليه قرآن مسيلمة الكذّاب، فقال: «إن هذا كلام لم يخرج من ألـ» يعني رب.

ومما فيها: «ومن الإيمان به، الإيمان بأن القرآن كلام الله مُنزَّل غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلّم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية، أو عبارة عن كلام الله، بل إذا قُرِىء القرآن، أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله؛ فإن الكلام إنما يُضاف حقيقة إلى مَن قاله مبتدئاً، لا إلى مَن قاله مبلغاً مؤدياً».

فامتنع بعضهم من كونه إثبات كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تكلّم به حقيقة، ثم إنه سلّم ذلك لما بيّن له أن المجاز يصحّ نفيه، وهذا لا يصحّ نفيه، ولما بيّن له أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وشعر الشعراء المُضاف إليهم، هو كلامهم حقيقة، فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقلّ من ذلك.

ولما ذكر فيها: «أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى مَن قاله متبدئاً لا إلى مَن قاله مبلغاً مؤدّياً».

---

(١) أبو بكر الصدّيق هو: خليفة رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي، شهد المشاهد كلها. له ترجمة في: أسد الغابة ٣/٣٠٩، وتذكرة الحفّاظ ١/٢، وشذرات الذهب ١/٢٧.

استحسنوا هذا الكلام، وعظّموه، وأخذ أحد كبراء الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام، وأنه أزال عنه الشُبُهات، ويذكر أشياء من هذا النمط.

ولما جاء ذكر ما ذكر من الإيمان باليوم الآخر، وتفصيله ونظمه، استحسنوا ذلك، وعظّموه.

وكذلك لما جاء ذكر الإيمان بالقدر، وأنه على درجتين إلى غير ذلك مما فيه من القواعد الجليلة.

وكذلك لما جاء الكلام في الفاسق، وفي الإيمان، لكن اعترضوا على ذلك بما سأذكره.

وكان مجموع ما اعترض به المنازعون المعانـدون بعد انقضاء قراءته جميعاً، والبحث فيها ـ أربعة أسئلة:

السؤال الأول: قولنا: «ومن أصول الفرقة الناجية، خارج عن الفرقة الناجية، مَن لم يقل بذلك مثل أصحاب المتكلمين الذين يقولون: إنّ الإيمان هو التصديق، ومَن يقول: إنَّ الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا ناجين لـزم أن يكونـوا هالكين.

وأما الأسئلة الثلاثة، وهي التي كانت عمدتهم، فأوردوها على قولنا: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسول الله ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته، وأنه على عرشه عليٌّ على خلقه، هو معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون كما جمع

بين ذلك في قوله: ﴿ **هو الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام، ثم استوى على العرش، يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾[1].

دليل معنى قوله: ﴿ **وهو معكم** ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان.

وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطّلع عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله: من أنه فوق العرش، وأنه معنا، حقٌّ على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة.

والسؤال الأول: قال بعضهم: نقرُّ باللفظ الوارد مثل حديث العباس[2] رضي الله عنه، حديث الأوعال؛ «والله فوق

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) العباس هو: ابن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي أبو الفضل المكّي عمّ رسول الله ﷺ، كان أسنّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين. مات سنة اثنتين وثلاثين. له ترجمة في: تهذيب التهذيب ١٠٧/٥ - ١٠٨.

العـرش»[1] ولا نقول: فوق السموات، ولا نقول: على العرش.

وقالوا أيضاً: نقول: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[2]، ولا نقول: الله على العرش استوى، ولا نقول: مستوٍ.

وأعاد هذا المعنى مراراً، أي اللفظ الذي ورد، يقال اللفظ بعينه، ولا يبدّل بلفظ يرادفه، ولا يفهم له معنًى أصلاً، ولا يقال: إنه يدلّ على صفة الله أصلاً، وانبسط الكلام في هذا المجلس الثاني، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

والسؤال الثاني: قالوا التشبيه بالقمر: فيه تشبيه كون الله في السماء، بكون القمر في السماء.

السؤال الثالث: قالوا: قولك: «حق على حقيقته» الحقيقة هي المعنى اللغوي، ولا يفهم من الحقيقة إلا استواء الأجسام وفوقيتها، ولم تضع العرب ذلك إلا لها، فإثبات الحقيقة هو محض التجسيم، ونفي التجسيم مع هذا تناقض أو مُصانعة.

فأجبتهم عن الأسئلة بأن قولي: «اعتقاد الفرقة الناجية» هي الفرقة التي وصفها النبي ﷺ بالنجاة حيث قال: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة،

---

(١) رواه البخاري في التوحيد ٢٢ والجهاد ٤، والترمذي في الجنة ٤ وتفسير سورة ٥٧ و٦٩، وأحمد في المسند ٢٠٧/١ و١٩٧/٢ و٣٣٥ و٣٣٩ و٣٧٠ و٣١٦/٥ و٣٢١.

(٢) سورة طه، آية: ٥.

وهي مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم»[1].

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبيّ ﷺ وأصحابه وهم ومَن اتّبعهم الفرقة الناجية؛ فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: «الإيمان يزيد وينقص»[2].

وكلّ ما ذكرته في ذلك، فإنه مأثور عن الصحابة رضي الله عنهم بالأسانيد الثابتة لفظاً، أو معنًى، وإذا خالفهم مَن بعدهم لم يضرّني ذلك.

ثم قلت لهم: وليس كل مخالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً؛ فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً، يغفر الله له خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجّة، وقد يكون من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأوّل، والتائب، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له، وغير ذلك، فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن مَن اعتقد ذلك نجا من هذا الاعتقاد، ومَن اعتقد ضدّه، فقد يكون ناجياً، وقد لا يكون ناجياً، كما قال: «مَن صمت نجا».

وأما السؤال الثاني: فأجبتهم أولاً:

بأن كل لفظ قلته، فهو مأثور عن النبيّ ﷺ مثل لفظ: «فوق

---

(١) رواه أبو داود في السُنّة ١، والترمذي في الإيمان ١٨، وابن ماجه في الفتن ١٧، وأحمد في المسند ٢/٣٣٢ و٣/١٤٥.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة ٩.

السموات»، ولفظ: «على العرش»، و«فوق العرش».

وقلت: اكتبوا الجواب، فأخذ الكاتب في كتابته، ثم قال بعض الجماعة: قد طال المجلس اليوم، فيؤخر هذا إلى مجلس آخر، فتكتبون أنتم الجواب، وتحضرونه في ذلك المجلس، وأشار بعض الموافقين بأن يتمّم الكلام بكتابة الجواب: لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم، وكأن الخصوم كان لهم غرض من تأخير كتابة الجواب؛ ليستعدّوا لأنفسهم، ويطالعوا ويحضروا مَن غاب من أصحابهم، ويتأملوا العقيدة فيما بينهم ليتمكّنوا من الطعن والاعتراض.

فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة، وقمنا على ذلك.

وقد أظهر الله من قيام الحجة، وبيان المحجّة، ما أعزّ الله به السُنّة والجماعة، وأرغم به أهل البِدعة والضلالة، وفي نفوس كثير من الناس أمور لما يحدث في المجلس الثاني.

وأخذوا في تلك الأيام يتأملونها، ويتأملون ما أجبت به في مسائل تتعلق بالاعتقاد، مثل المسألة الحموية في الاستواء والصفات الخبرية وغيرها.

فصل: فلما كان في المجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب ـ وقد أحضروا أكبر شيوخهم ممّن لم يكن حاضراً ذلك اليوم ـ وبحثوا فيما بينهم، واتفقوا وتواطأوا، وحضروا بقوة، واستعدّوا، وغير ما كانوا عليه؛ لأن المجلس الأول آتاهم

بغتة، وإن كان أيضاً بغتة المخاطب الذي هو المسؤول والمُجيب والمُناظر.

فلما اجتمعنا، وقد أحضرت ما كتبته من الجواب على أسئلتهم المتقدمة التي طلب تأخيره إلى هذا اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة، خطبة ابن مسعود[1] رضي الله عنه.

ثم قلت: إن الله أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف، وقال لنا في القرآن: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا** ﴾[2].

وقال: ﴿ **إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء** ﴾ [3]، وقال: ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات** ﴾[4].

وربنا واحد، وكتابنا واحد، ونبيّنا واحد، وأصول الدين لا تحتمل التفرّق والاختلاف، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين، وهو متّفق عليه بين السلف.

فإن وافق الجماعة فالحمد لله، وإلا فمَن خالفني بعد ذلك

---

(١) ابن مسعود هو: عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، وأحد السابقين الأوّلين، ومن كبار البدريين، ومناقبه كثيرة. مات سنة اثنتين وثلاثين. له ترجمة في: أسد الغابة ٣/٣٨٤، والإصابة ١/٣١، والنجوم الزاهرة ١/٨٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

كشفت له الأسرار، وهتكت الأسرار، وبيّنت المذاهب الفاسدة التي أفسدت المِلَل والدول، وأنا إلى سلطان الوقت على البريد، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس؛ فإن للسلم كلاماً، وللحرب كلاماً.

وقلت: لا شك أن الناس يتنازعون، فيقول هذا: أنا حنبلي، ويقول هذا: أنا أشعري، ويجري بينهم تفرّق واختلاف على أمور لا يعرف حقيقتها.

وأنا قد أحضرت ما بين اتفاق المذاهب فيما ذكرته، وأحضرت كتاب تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري. تأليف الحافظ أبي القاسم ابن عساكر.

وقلت: لم يصنّف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره من كتاب الإبانة.

فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة، سأل الأمير عن معنى المعتزلة؟

فقلت: كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق وهو أول اختلاف حدث في الملّة، هل هو كافر أو مؤمن؟ فقالت الخوارج: إنه كافر، وقالت الجماعة: إنه مؤمن.

فقالت طائفة: نقول هو فاسق لا كافر، ولا مؤمن، ننزّله منزلة بين منزلتين، وخلّدوه في النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه، فسُمُّوا معتزلة.

فقال الشيخ الكبير بجلبةٍ وردٍّ: ليس كما قلت، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام، وسمّي المتكلمون: لأجل تكلمهم في ذلك، وكان أول مَن قالها: عمرو بنِ عبيد، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل، هكذا قال، وذكر نحواً من هذا.

فغضبت عليه، وقلت: أخطأت، وهذا كذب مخالف للإجماع. وقلت له: لا أدب، ولا فضيلة، لا تأدبت معي في الخطاب، ولا أصبت في الجواب. ثم قلت: الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المائة الثانية، وأما المعتزلة، فقد كانوا قبل ذلك بكثير في زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية، ولم يكن أولائك قد تكلموا في مسألة الكلام، ولا تنازعوا فيها، وإنما أول بِدعتهم: تكلمهم في مسائل الأحكام، والأسماء، والوعيد.

فقال: هذا ذكره الشهرستاني في كتاب «المِلَل والنِحَل»، فقلت: الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين، لِمَ سُمُّوا متكلّمين؟ لم يذكره في اسم المعتزلة، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة.

وأنكر الحاضرون عليه، وقال: غلطت.

وقلت في ضمن كلامي: أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام، وأول مَن ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها.

وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين فإن المتكلمين كانوا يسمّون بهذا الاسم قبل تنازعهم

في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء: إنه متكلّم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام.

وقلت أنا وغيري: إنما هو واصل بن عطاء. قلت: وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد، وإنما كان قريبه.

وقد رُوِيَ أن واصلاً تكلم مرة بكلام، فقال عمرو بن عبيد: لو بعث نبيّ ما كان يتكلم بأحسن من هذا، وفصاحته مشهورة. حتى قيل: إنه كان ألثغ، وكان يحترز عن الراء، حتى قيل له: أمر الأمير أن يحفر بئر في قارعة الطريق، فقال: أوعز القائد أن يقلب قليب في الجادة.

قال الشيخ المتقدّم فيهم: لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر، ومن أكبر أئمة الإسلام، لكن قد انتسب إليه أُناس ابتدعوا أشياء.

فقلت: أما هذا فحق، وليس هذا من خصائص أحمد، بل ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام، وهو منهم بريء.

وانتسب إلى أبي حنيفة أُناس هو بريء منهم، وقد انتسب إلى الشافعي أُناس هو منهم بريء، وقد انتسب إلى موسى عليه السلام أُناس هو بريء منهم، وانتسب إلى عيسى أُناس هو بريء منهم، ونبيّنا ﷺ قد انتسب إليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين مَن هو بريء منهم.

وذكر في كلامه: أنه انتسب إلى أحمد أُناس من الحشوية والمشبّهة، ونحو هذا الكلام.

فقلت: المشبهة والمجسّمة في غير أصحاب أحمد أكثر منهم فيهم. هؤلاء أصناف الأكراد وكلهم شافعية، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر.

وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية.

قلت: وأما الحنبلية المحضة، فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم، وكان من تمام الجواب: أنّ الكرامية المجسّمة كلهم حنفية.

وتكلمت على لفظ الحشوية ما أدري جواباً عن سؤال الأمير، أو غيره، أو عن غير جواب.

فقلت: هذا اللفظ أول مَن ابتدعه المعتزلة؛ فإنهم يُسمّون به الجماعة والسواد الأعظم.

والحشوية كما تسمّيهم الرافضة: الجمهور.

وحشو الناس: هم عموم الناس وجمهورهم، وهم غير الأعيان المتميزين، يقولون: هذا من حشو الناس، كما يقال: هذا من جمهورهم.

وأول مَن تكلم بهذا عمرو بن عبيد، وقال: كان عبد الله بن عمرو حشوياً، فالمعتزلة سمُّوا الجماعة حشواً، كما تسمّيهم الرافضة: الجمهور.

وقلت: لا أدري في المجلس الأول أو الثاني، أول مَن قال: إن الله جسم، هشام بن الحكم الرافضي. وقلت لهذا

الشيخ: مَن في أصحاب الإمام أحمد من الأعيان حشوي بالمعنى الذي تريده؟ الأثرم، أبو داود، المروزي، الخلال، أبو بكر بن عبد العزيز، أبو الحسن التميمي، ابن حامد القاضي، أبو يعلى، أبو الخطاب، ابن عقيل. ورفعت صوتي، وقلت سَمِّهم. قل لي: مَن هم؟ مَن هم؟ أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة، وتندرس معالم الدين، كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون: إن القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلي، مَن قال هذا، وفي أيّ كتاب وجد هذا عنهم قل لي.

ولما نقل عنهم: أن الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادّعاه، والمقدمة التي نقلها عنهم.

وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ من أنه كبير الجماعة وشيخهم، وأن فيه من العقل والدين ما يستحق أن يُعامَل بموجبه.

وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه، فإنه لم يكن حاضراً في المجلس الأول، وإنما أحضروه في الثاني انتصاراً به، وحدّثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس أنه اجتمع به، وقال له: أخبرني عن هذا المجلس؟

فقال: ما لفلان ذنب، ولا لي؛ فإن الأمير سأل عن شيء آخر، وقال: قل لهم، ما لكم على الرجل اعتراض؛ فإنه نصر ترك التأويل، وأنتم تنصرون قول التأويل، وهما قولان للأشعري.

وقال: أنا أختار قول ترك التأويل، وأخرج وصيّته التي

أوصى بها، وفيها قول ترك التأويل.

قال الحاكي لي، فقلت له: بلغني عنك أنك قلت في آخر المجلس لماّ أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة، لا تكتبوا عنّي نفياً، ولا إثباتاً، فَلِمَ ذاك؟

فقال: لوجهين، أحدهما: أنّي لم أحضر قراءة جميع ما ورد في المجلس الأول.

والثاني: لأن أصحابي طلبوني؛ لينتصروا بي، فما كان يليق أن أُظهِر مخالفتهم، فسكت عن الطائفتين.

وأمرت غير مرة أن تُعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ، فرأى بعض الجماعة أن ذلك يطول، وأنه لا يقرأ عليه إلاّ الموضع الذي لهم عليه سؤال، وأعظمه لفظ: «الحقيقة»، فقرّ أولاً عليه.

وذكر هو بحثاً حسناً يتعلق بدلالة اللفظ فحسّنته ومدحته عليه.

وقلت: لا ريبِ أن الله حيّ حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، وهذا متّفق عليه بين أهل السُنّة والصفاتية من جميع الطوائف، ولو نازع بعض أهل البِدَع في بعض ذلك، فلا ريب أنّ الله موجود، والمخلوق موجود، ولفظ «الوجود» سواء كان مقولاً عليهم بطريق الاشتراك اللفظي فقط، أو بطريق التواطؤ المتضمن للاشتراك لفظاً ومعنًى، أو بالتشكيك الذي هو نوع من التواطؤ، فعلى كل قول، فالله موجود حقيقة، والمخلوق موجود حقيقة ولا

يلزم من إطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور.

ولم أُرجِّح في ذلك المقام قولاً من هذه الثلاثة على الآخر لأن غرضي يحصل على كل مقصود.

وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف، وأن أُبيِّن اتفاق السلف، ومَن تبعهم على ما ذكرته، وأنَّ أعيان المذاهب الأربعة، والأشعري، وأكابر أصحابه على ما ذكرته. فإنه قبل المجلس الثاني اجتمع بي من أكابر الشافعية، والمنتسبين إلى الأشعرية والحنفية وغيرهم ممّن عظم خوفهم من هذا المجلس، وخافوا انتصار الخصوم فيه، وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفوّق الكلمة، فلو أظهرت الحجّة التي ينتصر بها ما ذكرته، أو لم يكن من أئمة أصحابهم مَن يوافقها لصارت فرقة، ولصعب عليهم أن يظهروا في المجالس العامّة الخروج عن أقوال طوائفهم، لما في ذلك، وقامت الحجّة عليه، وبان أنه مذهب السلف، أمكنهم إظهار القول به مع ما يعتقدونه في الباطن من أنه الحق، حتى قال لي بعض الأكابر من الحنفية، وقد اجتمع بي: لو قلت هذا مذهب أحمد بن حنبل، وثبت على ذلك، لانقطع النزاع، ومقصوده أنه يحصل دفع الخصوم عنده؛ بأنه مذهب متبوع ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة.

فقلت: لا والله، ليس لأحمد بهذا اختصاص، وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة، وأئمة أهل الحديث.

وقلت أيضاً: هذا اعتقاد رسول الله ﷺ، وكل لفظ ذكرته،

وأنا أذكر آيةً، أو حديثاً، أو إجماعاً، سلفياً، وأذكر مَن ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين: أتباع الفقهاء الأربعة، والمتكلمين، وأهل الحديث، والصوفية.

وقلت لمَن خاطبني من أكابر الشافعية: لأبيِّن أن ما ذكرته هو قول السلف، وقول أئمة أصحاب الشافعي، وأذكر قول الأشعري، وأئمة أصحابه التي تَرِد على هؤلاء الخصوم؛ ولينتصرنَّ كل شافعي، وكل مَن قال بقول الأشعري الموافقَ لمذهب السلف. وأبيِّن أنَّ القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه، وإنما هو قول طائفة من أصحابه، فللأشعرية قولان، ليس للأشعري قولان.

فلما ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي يسمّى بها المخلوق كلفظ «الوجود» الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن على الأقوال الثلاثة، تنازع كبيران، هل هو مقول بالاشتراك، أو بالتواطؤ؟

فقال أحدهما: هو متواطؤ. وقال الآخر: هو مشترك؛ لئلا يلزم التركيب.

وقال هذا: قد ذكر فخر الدين أنّ هذا النزاع مبني على أنَّ وجوده هل هو عين ماهيته أم لا؟

فمَن قال إن وجود كل شيء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك، ومَن قال: إنّ وجوده قدر زائد على ماهيته، قال: إنه مقول بالتواطؤ.

فأخذ الأول يرجّح قول مَن يقول: إنَّ الوجود زائد على الماهية؛ لينصر أنه مقول بالتواطؤ.

فقال الثاني: ليس مذهب الأشعري وأهل السُنّة أن وجوده عين ماهيّته، فأنكر الأول ذلك.

فقلت: أما متكلّمو أهل السُنّة، فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته، وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة: إن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته.

وكلٌّ منهما أصاب من وجه؛ فإن الصواب أن هذه الأسماء مقولة بالتواطؤ، كما قد قرّرته في غير هذا الموضع.

وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين.

وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته، أو ليس عينها، فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنّا وإن قلنا:

إن وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولاً عليه، وعلى نظيره الاشتراك اللفظي فقط، كما في جميع أسماء الأجناس؛ فإنّ اسم «السواد» مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ، وليس عين هذا السواد هو السواد؛ إذ الاسم دالٌّ على القدر المشترك بينهما، وهو المطلق الكلّي.

لكنه لا يوجد مطلقاً كليّاً بشرط الإطلاق إلا في الذهن، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج؛ فإنه على ذلك تنتفي الأسماء المتواطئة، وهي جمهور

الأسماء الموجودة في اللغات، وهي أسماء الأجناس اللغوية، وهو الاسم المطلق على الشيء، وعلى كل ما أشبهه سواء كان اسم عين، أو اسم صفة جامداً، ومشتقاً، وسواء كان جنساً منطقياً أو فقهياً، أو لم يكن، بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأصناف والأجناس والأنواع، ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطئة، وأعيان في مسمياتها في الخارج متميزة.

وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة؛ ليطعن في بعضها، فعرفت مقصوده.

فقلت: كأنك استعددت للطعن في حديث الأوعال، حديث العباس بن عبد المطّلب، وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين[1] عبد العظيم من قول البخاري[2] في «تاريخه»: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف.

فقلت: هذا الحديث مع أنه رواه أصحاب السُنن: كأبي

---

(١) زكي الدين عبد العظيم هو: ابن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة الحافظ الكبير الإمام الثَبْت شيخ الإسلام الشامي ثم المصري، كان عديم النظير في معرفة علوم الحديث، وبه تخرّج الشرف الدمياطي. مات سنة ست وخمسين وستمائة. له ترجمة في: البداية والنهاية ٢١٢/١٣، وتذكرة الحفّاظ ١٤٣٦/٤، وشذرات الذهب ٢٧٧/٥.

(٢) البخاري هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم، الحافظ العَلَم صاحب «الصحيح» وإمام هذا الشأن، والمعوّل على صحيحه في أقطار البلدان. مات سنة ست وخمسين ومائتين. له ترجمة في: البداية والنهاية ٢٤/١١، وتاريخ بغداد ٤/٢، وتذكرة الحفّاظ ٥٥٥/٢، وتهذيب التهذيب ٤٧/٩.

داود[١]، والترمذي[٢]، وابن ماجه[٣]، وغيَرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر.

فقال: أليس مداره على ابن عميرة، وقد قال البخاري: لا يُعرَف له سماع من الأحنف.

فقلت: قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة[٤] في «كتاب

---

(١) أبو داود هو: سليمان بن الأشعث بن شدّاد بن عمرو الأزدي الإمام العَلَم صاحب كتاب «السُنن»، و«الناسخ والمنسوخ» وغير ذلك. مات سنة خمس وسبعين ومائتين. له ترجمة في: البداية والنهاية ١١/٥٤، وتاريخ بغداد ٩/٥٥، وتذكرة الحفّاظ ٢/٥٩١، وتهذيب التهذيب ٤/١٦٩.

(٢) الترمذي هو: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الضحّاك السلمي صاحب «الجامع»، و«العِلل» الضرير الحافظ العلاّمة. قال الإدريسي: كان أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. له ترجمة في: تذكرة الحفّاظ ٢/٦٣٣، وتهذيب التهذيب ٩/٣٨٧، وشذرات الذهب ٢/١٧٤، والعِبَر ٢/٦٣٣.

(٣) ابن ماجه هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي مولاهم، القزويني الحافظ، صاحب كتاب «السُنن»، و«التفسير». قال الخليلي: ثقة كبير متّفق عليه. مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين. له ترجمة في: البداية والنهاية ١١/٥٢، وتاريخ قزوين للرافعي ١٦٥، وتذكرة الحفّاظ ٢/٦٣٦، وتهذيب التهذيب ٩/٥٣٠.

(٤) ابن خزيمة هو: الحافظ الكبير شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري. عصره بخراسان. قال أبو علي النيسابوري: لم أرَ مثله. مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. له ترجمة في: البداية والنهاية ١١/١٤٩، وتذكرة الحفّاظ ٢/٧٢٠، وشذرات الذهب ٢/٢٦٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/١٠٩.

التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يحتجّ فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبيّ ﷺ.

قلت: الإثبات مقدّم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفته لسماعه من الأحنف، لم ينفِ معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره ـ كالإمام ابن خزيمة ـ الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدّماً على نفي غيره، وعدم معرفته، ووافق الجماعة على ذلك.

وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكيه، وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة، ولكن لها تعلّق بما أجبت به في مسائل، ولها تعلّق بما قد يفهمونه من العقيدة.

فأحضر بعض أكابرهم كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، وقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السلف.

فقلت: لعلك تعني قوله تعالى: ﴿ **فأينما تولّوا فثَم وجه الله** ﴾[1]؟ فقال: نعم، قد قال مجاهدو الشافعي يعني قبلة الله.

فقلت: نعم هذا صحيح عن مجاهد[2] والشافعي وغيرهما، وهذا حق، وليست هذه الآية من آيات الصفات، ومَن عدّها في الصفات، فقد غلط، كما فعل طائفة. فإن سياق الكلام يدلّ على

---

(١) سورة البقرة: آية: ١١٥.

(٢) مجاهد هو: ابن جبر أبو الحجّاج المكّي المخزومي، مولى السائب بن يزيد. عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. قال مجاهد: قال لي ابن عمر، ووددت أن نافعاً يحفظ كحفظك. له ترجمة في: إرشاد الأريب ٢٤٢/٦، وتذكرة الحفّاظ ٩٢/١، وتهذيب الأسماء ٨٣/٢، وحلية الأولياء ٢٧٩/٣.

اطّراد المراد حيث قال: ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثَم وجه الله** ﴾.

والمشرق والمغرب: الجهات. والوجه: هو الجهة. يقال: أيّ وجه تريد؟ أي أيّ جهة، وأنا أُريد هذا الوجه. أي هذه الجهة. كما قال تعالى: ﴿ **ولكل وجهة هو مولّيها** ﴾؛ ولهذا قال: ﴿ **فأينما تولّوا فثَم وجه الله** ﴾ أي تستقبلوا وتتوجهوا، والله أعلم.

هذا آخر ما علّقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطان، والقضاة، والفقهاء، وغيرهم بالقصر.

٣٩ ـ فتاوى الشيخ بدمشق:

وبعض اختياراته التي خالف فيها المذاهب الأربعة أو بعضها.

ثم إن الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره بها، لم يزل ملازماً للاشتغال والأشغال، ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطوَّلة وغيرها، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعية.

ففي بعض الأحكام يفتي بما أدّى إليه اجتهاده، من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، ومن بعضها قد يفتي بخلافهم، أو بخلاف المشهور من مذاهبهم.

ومن اختياراته التي خالفهم فيها، أو خالف المشهور من أقوالهم: القول بقَصْر الصلاة في كل ما يُسَمَّى سفراً، طويلًا كان

أو قصيراً، كما هو مذهب الظاهرية، وقول بعض الصحابة.

والقول بأن البكر لا تُسْتَبْرَأ، وإن كانت كبيرة. كما هو قول ابن عمر، واختاره البخاري صاحب الصحيح.

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء، كما يشترط للصلاة كما هو مذهب ابن عمر، واختيار البخاري أيضاً.

والقول بأن مَن أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل. فبان نهاراً لا قضاء عليه.

كما هو الصحيح عن عمر بن[1] الخطاب رضي الله عنه، وإليه ذهب بعض التابعين، وبعض الفقهاء بعدهم.

والقول بأن المتمتّع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة. كما هو في حق القارن والمُفْرد، كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل، رواها عنه ابنه عبدالله وكثير من أصحاب الإمام أحمد لا يعرفونها.

والقول بجواز المسابقة بلا مُحَلِّل، وإن خرج المتسابقان.

والقول باستبراء المختلِعَة بحيضة، وكذلك الموطوءة بشُبهة. والمطلّقة آخر ثلاث تطليقات.

---

(١) عمر بن الخطاب أبو حفص العدوي، الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ، وهو الذي سنّ للمحدّثين التثبّت في النقل. له ترجمة في: أسد الغابة ٤/١٤٥، والإصابة ٢/٥١١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٨، وتذكرة الحفّاظ ١/٥، وشذرات الذهب ١/٣٣.

والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين.

والقول بجواز عقد الرداء في الإحرام، ولا فدية في ذلك، وجواز طواف الحائض. ولا شيء عليها، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً.

والقول بجواز بيع الأصل بالعصير، كالزيتون بالزيت، والسمسم بالشِّيرَج.

والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمًّى ماء، مطلقاً كان أو مقيّداً.

والقول بجواز بيعِ ما يُتّخذ من الفضة للتحلّي وغيره، كالخاتم ونحوه، بالفضة متفاضلاً وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصَّنعة والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير، قليلاً كان أو كثيراً.

والقول بجواز التيمّم لمَن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء.

والقول بجواز التيمّم في مواضع معروفة.

والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة.

وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله.

وكان يميل أخيراً لتوريث المسلم من الكافر الذمّي، وله في ذلك مصنّف وبحث طويل ومن أقواله المعروفة المشهورة التي

جرى بسبب الإفتاء بها مِحَنٌ وقلاقل: قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق.

وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة.

وأن الطلاق المحرّم لا يقع.

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة منها:

قاعدة كبيرة سمّاها «تحقيق الفرقان بين التطبيق والإيمان» نحو أربعين كرّاسة.

وقاعدة سمّاها «الفرق المبين بين الطلاق واليمين» بقدر النصف من ذلك.

وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفّرة، مجلد لطيف.

وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة.

وقاعدة سمّاها «التفصيل بين التكفير والتحليل».

وقاعدة سمّاها «اللمعة».

وغير ذلك من القواعد والأجوبة في ذلك لا ينحصر عددها ولا ينضبط.

وله في ذلك جواب اعتراض، ورد عليه من الديار المصرية، وهو جواب طويل في ثلاث مجلدات، بقطع نصف البلدي.

وكان القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي رحمه الله، في يوم الخميس منتصف شهر ربيع الآخر من ثمانِ عشرة وسبعمائة قد اجتمع بالشيخ وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق، فقبل الشيخ إشارته وعرف نصيحته، وأجاب إلى ذلك.

وكان قد اجتمع إلى القاضي جماعة من الكبار حتى فعل ذلك.

فلما كان يوم السبت، مستهلّ جمادى الأولى من هذه السنة، ورد البريد إلى دمشق، ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها الشيخ تقي الدين بن تيمية وأفتى فيها، وصنّف فيها والأمر بعقد مجلس في ذلك.

فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة، وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان، ونودي بذلك في البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور.

ثم إن الشيخ عاد إلى الإفتاء بذلك وقال: لا يسعني كتمان العلم. فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبعمائة جُمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة، وقرىء عليهم كتاب السلطان. وفيه فصل يتعلق بالشيخ، بسبب الفتوى في هذه المسألة، وأُحضِر وعوقب على فتياه بعد المنع، وأكد عليه في المنع من ذلك.

٤٠ ـ سجن الشيخ بسبب فتياه في الطلاق:

فلما كان بعد ذلك بمدة، في يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب من سنة عشرين وسبعمائة، عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب والقضاة، وجماعة من المفتين، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الإفتاء بمسألة الطلاق، وعاتبوه على ذلك، وحبسوه بالقلعة، فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً.

ثم ورد مرسوم السلطان بإخراجه، فأخرج منها يوم الاثنين يوم عاشوراء، من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وتوجه إلى داره.

ثم لم يزل بعد ذلك يعلّم الناس ويلقي الدرس بالحنبلية أحياناً، ويقرأ عليه في مدرسته بالقصّاصين، في أنواع من العلم.

قال الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي: كنت أتردد إليه في هذه المدة أحياناً، وقرأت عليه قطعة من الأربعين للرازي. وشرَحَها لي، وكتب لي على بعضها شيئاً، وكان يُقرأ عليه في تلك المدة من كتبه، وهو يصلح فيها، ويزيد وينقص.

ولقد حضرت «أي الشيخ محمد المذكور» معه يوماً بستان الأمير فخر الدين بن الشمس لؤلؤ. وكان قد عمل وليمة، وقرأت على الشيخ في ذلك اليوم أربعين حديثاً، وكتب بعض الجماعة أسماء الحاضرين، وأخذ الشيخ بعد ذلك في الكلام في أنواع العلوم، فبُهِتَ الحاضرون لكلامه. واشتغلوا بذلك عن الأكل.

ومما حفظت من كلامه في المجلس قوله:

«يقول الله تعالى في بعض الكتب: أهلُ ذكري أهلُ مشاهدتي، وأهل شكري أهلُ زيارتي، وأهلُ طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهِّرَهم من المعايب».

وحصل في ذلك المجلس خير كثير، وكان فيه غير واحد من المشايخ، واستمر الشيخ بعد ذلك على عادته.

٤١ ـ الكلام على شدّ الرِحال إلى القبور:

فلما كان في سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شدِّ الرِحال وإعمال المطيِّ إلى قبور الأنبياء والصالحين، وظفروا للشيخ بجواب سؤال في ذلك، كان قد كتبه من سنين كثيرة، يتضمن حكاية قولين في المسألة، وحجّة كل قول منهما.

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدّم أقدم من الجواب المذكور بكثير. ذكره في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» وغيره، وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به.

وكثر الكلام، والقيل والقال، بسبب العثور على الجواب المذكور وعظم التشنيع على الشيخ، وحُرِّف عليه، ونُقِلَ عنه ما لم يَقُلْه، وحصل فتنة طال شررها في الآفاق، واشتد الأمر، وخيفَ على الشيخ من كيد القائمين في هذه القضية بالديار المصرية والشامية وكثر الدعاء والتضرّع والابتهال إلى الله، وضعف من

أصحاب الشيخ مَن كان عنده قوة، وجَبُنَ مَن كانت له همّة. وأما الشيخ ـ رحمه الله ـ فكان ثابت الجأش، قوي القلب، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه.

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ فقال أحدهم:

ينفى، فنفي القائل.

وقال آخر: يُقطع لسانه، فقطع لسان القائل.

وقال آخر: يعزّر، فعزر القائل.

وقال آخر: يُحْبَس، فحُبِس القائل.

قال الشيخ صاحب العقود الدريّة من مناقب ابن تيمية: أخبرني بذلك مَن حضر هذه المشورة وهو كاره لها.

واجتمع جماعة آخرون بمصر، وقاموا في هذه القضية قياماً عظيماً، واجتمعوا بالسلطان، وأجمعوا على قتل الشيخ. فلم يوافقهم السلطان على ذلك.

٤٢ ـ أمر السلطان بحبس الشيخ بقلعة دمشق:

ولما كان يوم الاثنين بعد العصر السادس من شعبان من سنة ست وعشرين وسبعمائة، حضر إلى الشيخ من جانب نائب السلطنة بدمشق مِشَدُّ الأوقاف، وابن خطير، أحد الحجّاب وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بأن يكون في القلعة، وأحضرا معهما مركوباً.

فأظهر الشيخ السرور بذلك، وقال: أنا كنت منتظراً ذلك، وهذا فيه خير عظيم. وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة، وأخليت له قاعة حسنة، وأُجرِيَ إليها الماء، ورسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورُسِمَ له بما يقوم بكفايته.

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرىء بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك، وبمنعه من الفُتيا.

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له في فِعْل ما يقتضيه في أمرهم.

وأُوذي جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعُزِّز جماعة، ونودِي عليهم، ثم أطلقوا، سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية، فإنه حبس بالقلعة، وسكنت القضية.

٤٣ ـ انتصار علماء بغداد للشيخ في مسألة شدِّ الرِّحال للقبور:

وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد، فقاموا في الانتصار له. وكتبوا بموافقته، قال الشيخ صاحب العقود الدريّة، ورأيت خطوطهم بذلك. وهذا صورة ما كتبوا:

بســــم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى:

بعد حمد الله السابغة نِعمه، السابقة مِنَنه، والصلاة على أشرف الأنبياء والمُرسلين، محمد صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنه حيث قد مَنَّ الله تعالى على عباده، وتفضَّل برحمته على بلاده بأن وَسَّد أمور الأمة المحمدية، وأسند أزمة الملّة الحنفية، إلى مَن خصّصه الله تعالى بأفضل الكمالات النفسانية، وخصّصه بأكمل السعادات الروحانية، مُحيي سُنن العدل، ومُبْدِي سُنن الفضل المعتصم بحبل الله، المتوكل على الله، المكتفي بنِعَم الله، القائم بأوامر الله، المستظهر بقوة الله، المستضيء بنور الله، أعزّ الله سلطانه، وأعلى على سائر الملوك شأنه، ولا زالت رِقاب الأمم خاضعة لأوامره، وأعناق العباد طائعة لمراسمه، ولا زال مُوالي دولته بطاعته مجبوراً، ومُعادي صولته بخزيه مذموماً مدحوراً. فالمرْجو من ألطاف الحضرة المقدسة ـ زادها الله تعالى علوّاً وشرفاً ـ أن يكون للعلماء الذين هم وَرَثَة الأنبياء، وصفوة الأصفياء، وعماد الدين ومدار أهل اليقين، حظ من العناية السلطانية وافر، ونصيب من الرحمة والشفقة، فإنها منقبة لا يعادلها فضيلة، وحسنة لا يحيطها سيئة، لأنها حقيقة التعظيم لأمر الله تعالى، وخلاصة الشفقة على خلق الله تعالى.

ولا ريب أن المملوك وقف على ما سئل عنه الشيخ الإمام

العلّامة وحيد دهره ومزيد عصره، تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن تيمية وما أجاب به.

فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب حسب ما اقتضاه الحال من نقله الصحيح وما أدّى إليه البحث من الإلزام والالتزام، لا يداخله تحامل، ولا يعتريه تجاهل. وليس ـ فيه والعياذ بالله ـ ما يقتضي الإزراء والتنقيص بمنزلة الرسول ﷺ.

وكيف يجوز للعلماء أن تحملهم العصبية: أن يتفوّهوا بالإزراء والتنقيص في حق الرسول ﷺ؟

وهل يجوز أن يتصور متصوّر: أن زيارة قبره ﷺ تزيد من قدره، وهل تركها مما يُنقِص من تعظيمه؟حاشا للرسول من ذلك.

نعم لو ذكر ذاكر ابتداء، وكان هناك قرائن تدلّ على الإزراء والتنقيص، أمكن حمله على ذلك، مع أنه كان يكون كناية لا صريحاً فكيف وقد قاله في معرِض السؤال وطريق البحث والجدل؟

ومع أن المفهوم من كلام العلماء، وأنظار العقلاء: أن الزيارة ليست عبادة وطاعة لمجرّدها؛ حتى لو حلف: أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبرَّ بها.

لكن القاضي ابن كجٍّ ـ من متأخري أصحابنا ـ ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قوية تلزم ناذرها.

وهو منفرد به، لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس

صحيح. والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِحال ـ إلى آخره ـ»[1] أنه لا يجوز شدّ الرِحال إلى غير ما ذكر أو وجوبه، أو ندبيّته، فإن فعله كان مخالفاً لصريح النهي، ومخالفة النهي معصية ـ إما كفر، أو غيره ـ على قدر المَنهي عنه ووجوبه، وتحريمه، وصفة النهي والزيارة أخصّ من وجه. فالزيارة بغير شدٍّ غير منهي عنها، ومع الشدِّ منهي عنها.

٤٤ ـ اعتقال شيخ الإسلام ابن تيمية بقلعة دمشق:

قال البرزالي: وفي يوم الاثنين عند العصر سادس عشر شعبان من سنة ست وعشرين وسبعمائة اعتقل شيخ الإسلام الإمام العالِم تقيّ الدين بن تيمية بقلعة دمشق، وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بذلك، وأحضرا معهما مركوباً ليركبه، وأظهر السرور والفرح بذلك، وقال أنا كنت منتظراً لذلك، وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة، وأُخليت له قاعة وأجري إليها الماء ورسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورسم له ما يقوم بكفايته.

قال البرزالي: وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرىء بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا، وهذه الواقعة سببها فتيا وُجدت بخطه في السفر وإعمال المطيّ

---

(١) رواه البخاري في مسجد مكّة ١، ٦، ومسلم في الحج ٤١٥، وأبو داود في المناسك ٩٤، والترمذي في الصلاة ١٢٦، وأحمد في المسند ٢/٢٣٤.

إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقبور الصالحين. قال: وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر قاضي القضاة الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه، فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم، وعزر جماعة منهم على دواب ونودي عليهم ثم أطلقوا، سوى شمس الدين محمد بن الجوزية فإنه حبس بالقلعة، وسكتت القضية. قال: وفي أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أُجريت عين ماء إلى مكّة شرّفها الله وانتفع الناس بها انتفاعاً عظيماً، وهذه العين تُعرَف قديماً بعين باذان، أجراها جوبان من بلاد بعيدة حتى دخلت إلى نفس مكة، ووصلت إلى عند الصفا وباب إبراهيم، واستقّى الناس منها فقيرهم وغنيّهم وضعيفهم وشريفهم، كلهم فيها سواء، وارتفق أهل مكة بذلك رفقاً كثيراً ولله الحمد والمِنّة، وكانوا قد شرعوا في حفرها وتجديدها في أوائل هذه السنة إلى العشر الأخير من جمادى الأولى. وفي يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشدّ الأوقاف، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة، فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق: قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال: وإنما المحزّ جعله زيارة قبر النبيّ ﷺ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع مقطوعاً بها، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام، فإن جوابه على هذه المسألة ليس فيها منع زيارة قبور الأنبياء الصالحين، وإنما ذكر فيه قولين في شدّ الرِحال لمجرّد الزيارة مسألة أخرى، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شدّ

الرِحال، بل يستحبّها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرّض إلى هذه الزيارة من هذه الوجه في الفتيا، ولا قال إنها معصية، ولا حكى الإجماع على المنع منها، ولا هو جاهل قول الرسول ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكّركم الآخرة»[1]، والله سبحانه لا يخفى عليه شيء، ولا يخفى عليه خافية، ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾[2].

إرسال الشيخ كتاباً من سجنه إلى دمشق: وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجّة من سنة ست وسبعمائة، أخبر نائب السلطنة بدمشق، بوصول كتاب إليه من الشيخ تقي الدين من الجبّ، وأعلم بذلك جماعة ممّن حضر مجلسه. وأثنى عليه، وقال: ما رأيت مثله، ولا أشجع منه.

وذكر ما هو عليه في السجن: من التوجّه إلى الله تعالى، وأنه لم يقبل شيئاً من الكسوة السلطانية، ولا من الإدرار السلطاني، ولا تدنّس بشيء من ذلك.

وفي هذا الشهر أيضاً ـ شهر ذي الحجّة ـ من يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طُلب أخَوا الشيخ تقي الدين: شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن ـ إلى مجلس نائب سلار، وحضر القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي، وجرى

---

(١) رواه مسلم في الجنائز ١٠٨، والترمذي في الجنائز ٩٠، والنسائي في الجنائز ١٠١.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

بينهم كلام كثير، وأُعيدا إلى موضعهما، بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي، وظهر عليه من النقل والمعرفة، وخطأه في مواضع ادّعى فيها الإجماع. وكان الكلام في مسألة العرش، وفي مسألة الكلام. وفي مسألة النزول.

وفي يوم الجمعة ثاني اليوم المذكور أحضر الشيخ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة وحضر ابن عدلان، وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره، وبحث معه، وظهر عليه.

وفي اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين في دار الأوحدي بالقلعة، بكرّة الجمعة، وتفرقا قبل الصلاة. وطال بينهما الكلام.

٤٥ ـ إخراج ابن مهنّا الشيخ من الجبّ:

وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعائة دخل الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى ملك العرب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى الجبّ. فأخرج الشيخ تقي الدين بعد أن استأذن في ذلك. فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقلعة. وحضر بعض الفقهاء ـ وحصل بينهم بحث كثير، وفرّقت صلاة الجمعة بينهم.

ثم اجتمعوا إلى المغرب ـ ولم ينفصل الأمر ـ.

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين بمرسوم السلطان مجموع

النهار. وحضر جماعة أكثر من الأولين: حضر نجم الدين بن الرفعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين بن بنت أبي سعد، وعزّ الدين النمراوي، وشمس الدين بن عدلان، وجماعة من الفقهاء. ولم يحضر القضاة. وطلبوا. فاعتذر بعضهم بالمرض، وبعضهم بغيره، وقبل عذرهم نائب السلطنة، ولم يكلّفهم الحضور، بعد أن رسم السلطان بحضورهم، وانفصل المجلس على خير، وبات الشيخ عند نائب السلطنة.

وكتب كتاباً إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر يتضمن خروجه، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة، وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن مدة مَقام الشيخ في الجبّ ثمانية عشر شهراً.

٤٦ ـ ذكر وفاة شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية:

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العالِم العلم العلاّمة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحرّاني ثم

الدمشقي، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً فيها[1]. وحضر جمع كثير إلى القلعة، وأذِنَ لهم في الدخول عليه وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤوا القرآن وتبرّكوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصروا على مَن يغسله فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع وامتلأ الجامع أيضاً وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والغوارة وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدّة الزحام، وصُلّيَ عليه أولاً بالقلعة. فقدمَ في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تمام، ثم صُلِّيَ عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدّم ذكره[1].

ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقّة والأسواق بأهلها ومَن فيها. ثم حمل بعد أن صُلِّي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعَلَت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحّم عليه والثناء والدعاء له، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم وذهبت النِعال من أرجل الناس وقباقيبهم وصناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة. وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدّم وتارة يتأخر وتارة يقف حتى تمرّ الناس وخرج الناس من الجامع من

(١) انظر البداية والنهاية، ١٣٠/١٤.
(٢) المصدر السابق.

أبوابه كلها وهي شديدة الزحام كل باب أشد زحمة من الآخر ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدّة الزحام فيها، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة: باب الفرج الذي أُخرجت منه الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية. وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس ووضعت الجنازة هناك وتقدّم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن فلما قضيت الصلاة حُمِلَ إلى مقبرة الصوفية فدُفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله، وكان دفنه قبل العصر بيسير وذلك من كثرة مَن يأتي ويصلّي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم. وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلّف عن الحضور إلاّ مَن هو عاجز عن الحضور مع الترحّم والدعاء له وأنه لو قَدِرَ ما تخلّف. وحضر نساء كثيرات بحيث حُزرن بخمسة عشر ألف امرأة غير اللائي كنّ على الأسطحة وغيرهنّ، الجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل[١].

وأما الرجال فحزروا بستّين ألفاً إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله واقتسم جماعة بقية السدر الذي غُسِلَ به، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دُفِعَ فيها خمسمائة درهم وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير وتضرّع. وخُتِمَت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد وتردّد الناس إلى قبره أياماً كثيرة

(١) انظر البداية والنهاية.

ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون. ورُؤيت له منامات صالحة كثيرة ورثاه جماعة بقصائد جمّة[1]. وهذه كانت جنازته. وقد اتفق على موته في سحر ليلة الاثنين المذكور، فذكر ذلك مؤذّن القلعة على المنارة بها وتكلم به الحرّاس على الأبرجة فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان حتى من الغوطة والمرج ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة، وكان نائب السلطنة تنكر قد ذهب يتصيد في بعض الأمكنة فحارت الدولة ماذا يصنعون وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزّاه فيه وجلس عنده وفتح باب القلعة لمَن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلف من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية فجلسوا عنده يبكون ويثنون على مثل ليلى يقتل المرء نفسه، وكان فيمن حضر هناك الشيخ الحافظ أبو الحجّاج المزّي رحمه الله.

وكشف الشيخ أبو عبد الرحمن السيوفي عن وجه شيخ الإسلام ونظر إليه وقبّله على رأسه وعليها عمامة بعزب مغرورة وقد علاه الشيب، ثم دخل أخوه زين الدين عبد الرحمن وأخبر الحاضرين أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين فانتهينا فيها إلى آخر اقتربت الساعة: ﴿ إنّ

(١) انظر الدّرر البهيّة في مناقب شيخ الإسلام، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

المتّقين في جنّات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾[1]
فقال الشيخ أبو عبد الرحمن السيوفي: فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيّران عبد الله بن المحب وعبد الله الزرعي الضرير. وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما ـ فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى.

ثم شرعوا في غسل الشيخ، وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عنده إلا مَن ساعد في غسله منهم: الشيخ الحافظ المزّي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضجّ الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحّم، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة ثم عطفوا على ثلاث الناطفانيين وذلك أن سويقة باب البريد كانت قد هدمت لتصلح ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يحصي عُدّتهم إلا الله تعالى فصرخ صارخ وصاح صائح: هكذا تكون جنائز أئمة السُنّة فتباكى الناس وضحّوا عند سماع هذا الصارخ ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصّاً لا يتمكن أحد من السجود إلّا بكلفة جو الجامع، ويرى الأزقّة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، ونوى خلق الصيام في هذا اليوم لأنهم لا يستطيعون الأكل والشرب في هذا اليوم، وكثر الناس كثرة لا تُحمَد ولا

---

(١) سورة القمر، آية: ٥٥.

تُوصَف، فلما فرغ من أذان الظهر أُقيمت الصلاة عقبة على السُدّة خلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلّى عليه إماماً، وهو الشيخ علاء الدين الخرّاط. ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس مَن تعجل بعد أن صلّى في الجامع إلى مقابر الصوفية، والناس في بكاء وتهليل في مخافتة كل واحد بنفسه، وفي ثناء وتأسّف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن هذا العالم(١).

وبالجملة كان يوماً مشهوداً، لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن بني أميّة حين كان الناس كثيرين، وكانت دار الخلافة، ثم دفن عند أخيه قريباً من أذان العصر على التحديد، ولا يمكن أحد حصر مَن حضر الجنازة، وتقريب ذلك أنه عبارة عمّن أمكنه الحضور من أهل الصغار والخدرات، وما علمت أحداً من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلّف عن الحضور في جنازته وهم ثلاثة أنفس:

وهم ابن جملة، والصدر، والقفجاري، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفاً على أنفسهم، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس، وتردّد الشيخ الإمام العلاّمة برهان الدين الفزاري يأتي راكباً على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله(٢).

---

(١) انظر حياة أحمد بن حنبل للشيخ محمد أبو زهرة.
(٢) المصدر السابق.

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء وممّن يخطىء ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجيّ، وخطؤه أيضاً مغفور له كما في صحيح البخاري: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[1].

وقال الإمام مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر..

رثاء الشيوخ العلماء أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى:

مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقري، في الشيخ تقي الدين رضي الله عنه:

عزّ التبصّر والزمان رماني
بسهامه، وترادفت أحزاني
أصبحت مكتئبّاً لفقد أحبّة
جُبِلت جبلتهم على الإحسان
لا صبر لي عنهم، وكيف تصبّري
عن سادة رحلوا عن الأوطان؟
إن أوحشوا نظري، فقلبي موطن
وعمارة الأوطان بالسكّان
خلت الديار، فأصبحوا في بلقع
يا وحشتاه لفرقة الإخوان

(١) رواه البخاري في الاعتصام ٢٣، ومسلم في الأقضية ١٥، وأبو داود في الأقضية ٢.

لـمـا سمـعـت بـأن أحـمـد قـد قـضـى
نـحـبـاً عـلى الـتـوحـيـد والإيـمـان
ولـقـاء ربّ، لا مـردّ لـحـكـمـه
سـبـحـانـه مـن قـادر مـنّـان
عـظمـت مصـيبـتنـا لـسـيـد عصـرنـا
فـي شـرح سـيـد أحـمـد بـبـيـان
والـعـلم حـاز أصـولـه وفـروعـه
وغـرائـب الـتـفـسـيـر لـلقـرآن
ويـنـاظـر الـفـقـهـاء فـي أقـوالـهـم
ويـجـيـبـهـم بـالـثـبـت والـتـبـيـان
غـلـب الـمـلوك بـثـبـتـه وجـنـانـه
وشـجـاعـة بـلـغـت إلـى غـازان
أفـديـه مـن بـطل يـلاقـي عـصـبـة
مـنـهـم، بـلا عـون، ولا أعـوان
مَـن ذا يـقـوم مـقـامـه فـي عـصـرنـا
إذ مـا مـضـى فـي سـالـف الأزمـان
ولـه الـزهـادة والـعـبـادة مـنـهـج
وكـذا يـكـون الـعـالـم الـربّـانـي
سـارت ركـائـبـه إلـى دار الـجـزا
مـتـمـسـكـاً بـمـواعـد الـرحـمـن
أوَ مـا نـظرت إلـيـه فـوق سـريـره
حـفّـت بـه الأنـوار بـالإمـكـان؟

والنـــاس من حـــول الـجنـــازة أحـــدقـــوا
كـــلٌ يـــجـــود بـــعَـــبـــرَة الـــثـــكـــلان
وهُـمُـــو أُلـــوف ليس يُـحصي جـمـعـهـم
إلّا إلـــــه عـــــمّ بـــالـــغـــفـــران
نـــزلـــوا بـــه كـــالـــبـــدر فـــي إشـــراقـــه
فـــتـــبـــاشـــرت بـــقـــدومـــه الـــقـــمـــران
عـبـــد الـحـــليـم أبـــوه سـيّـــد عـــصـــره
وأخـــــوه عـــبـــد الله حَـــبْـــرٌ ثـــان
المجـــد حـــاز المجـــد في عصـــر مـضى
فـي الـجـــرح والـتـعـــديـــلِ والـبـــرهـــان
ولـمثـــل هـــذا ســـارعـــوا، أهـــل التّقى
فـــازوا بـــأرفـــع رتـــبـــة وأمـــان
فـــي جـــنّـــة أنـــوارهـــا قـــد أشـــرقـــت
وقـــطـوفـــهـــا لـــلـطـــائـــفـــيـــن دوان
أكـــوابـــهـــا مـــوضـــوعـــة وقـــبـــابـــهـــا
مـــن لـــؤلـــؤ مـــرفـــوعـــة الـــبـــنـــيـــان
والـنـــور يـغـشـي أهـــلهـــا وهـمـــو عـــلى
تـــلك الأسِـــرّة فـــي رضًـــى وأمـــان
ولـبـــاسـهـم مِـن سـنـــدس وخـيـــامـــهـم
قـــد أُلـبـســـوا من أحـســـن الـتـيـجـــان
ولأهـــلـهـــا مـــا يـشـــتـهـــون وشـــغـلهـــم
بـــالـــلّـــه لا بـــالـــجـــور والـــغـــلـمـــان

منهم تقي الدين فاز بزهده
وبصبره في طاعة الرحمن
ثم الصلاة على النبي محمد
خير الأنام، ومعدن الإحسان
هادٍ وأول شافع، ومشفّع
وله الوسيلة مظهر الإيمان
ما حنّ مشتاق إلى وادي منى
وتطوفوا بالبيت والأركان

مرثاة للشيخ برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم العجمي، يرثي الشيخ تقيّ الدين بن تيمية في جمادى الآخرة سنة خمسٍ وثلاثين وسبعمائة.

جدي بانسجام الدمع يا مقلة العاني
إلى أن تروِّي الأرض من فيض أجفاني
وذق يا فؤادي كل يوم وليلة
مرارة أشواق ولوعة أشجان
إلى أن أرى وجه ابن تيمية الذي
به الله من أهل الضلالة نجّاني
ومَن لي بأن ألقاه والموت قد أتى
فغيّبه في الترب عن كل إنسان
فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه
ويا لهف إخواني عليه وجيراني

لقد عمّ أهل الأرض رزء مصابه
ولم ينجُ فيهم منه قاصٍ ولا داني
لقد كانت الدنيا به ذات بهجة
ونور، وإشراق، وروح وريحان
وما كان إلا آية في زمانه
وفي كل علم حاز ليس له ثان
إمام هدى، يدعو إلى دين ربه
دعاء نصوح مشفق غير خوان
فمذهبه: ما جاء عن خير مرسل
وأصحابه، والتابعين بإحسان
أتى بعلوم حَيّرتْ كل واصف
على أنه يهدي بها كل حيران
فكم مبطل وافاه يبغي جداله
فأنصفه في البحث من غير عدوان
ويكشف عنه شبهة بعد شبهة
إلى أن يبيّن الحق أحسن تبيان
فيصبح عن تلك المقالة معرِضاً
ولو كان من أحبار سوء ورهبان
يغار على الإسلام من كل بدعة
وما زال منها هادماً كل بنيان
وفي الله لم تأخذه لومة لائم
ولم يخشَ مخلوقاً من الإنس والجانِ

ولم ينتقم في الدهر يوماً لنفسه
ولكنه يُؤذَى فيعفو عن الجاني
وأما سخاء الكفّ فالبحر دونه
ولم يكُ في بذل العطايا بمنّان
ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم
به رجح الشجعان في كل ميزان
فمَن جاهد الأعداء في الدين ليلة؟
ومَن سلّ سيف العزم في وجه غازان؟
ومَن قال للناس: اثبتوا يوم شقحبٍ
فإن الأعادي في انهزامٍ وخذلان
فمَن خشي الرحمن بالغيب واتّقى
إلّه البرايا، خافه كل سلطان
وما ضرّه إن طال في السجن مكثه
إذا كان في نسك وطاعة رحمان
منيباً إلى مولاه، يقطع وقته
بنقل أحاديث، وتفسير قرآن
ولم يكُ مشغوفاً بحب رياسة
ولا شدّ بغلات، ولا حُسْن غلمان
وما كان مشغولاً بجاه ومنصب
ولا رفع بنيان ولا غرس بستان
ولكن بعلم نافع وعبادة
وزهد، وإخلاص، وصبر وإيمان

وفي موته قد كان للناس عبرة
لما شاهدوا من غير زور وبهتان
إذِ انتشروا مثل الجراد، وكاد أن
تزيغ عقولٌ من رجال ونسوان
وسار على أعناقهم نحو قبره
يجاور مولى، ذا امتنان وغفران
إلى الذهب الباقي دعاه إلٓهه
فذاك خير من الخزف الفاني
دعاه إلى جنّات عدن وطيبها
ومتّعه فيه بحُور وولدان
فنسأل رب العرش - يجمع شملنا
به في جنّات الخلد من بعد حرمان
ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا
ويروي برؤيا وجهه كل ظمآن

ولقد رُثِيَ بقصائد أخرى طويلة جداً. وقد أُفردت له تراجم كثيرة وصنّف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم. ومن هذه المصنفات أيضاً التي قيلت في رثاء شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: قصيدة الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر البعلي الحنبلي:

يا ابن تيمية، يا أنصح العلما
يا مَن لأسرار دين الله قد فَهِما

يــا آيــة ظـهــرت فـي الــكــون بــاهــرة
لا زلـت فـي ســلك ديـن الله مــنــتــظِمــا
وكــنــت واســـــطة فــي عــقــده أبــداً
تُــزيــل مــنــه الأذى والفــحش والسـقمــا
جـمعـت مـنــه الــذي قــد كــان فــرقــه
قــوم رأوه هــدى مــنــه، وكــان عَــمَــى
وكــنــت أحــرص خــلق الله كــلهــم
على التــآلف، تعــطِي الفضــل والنِعَـمــا
ولـسـت خَـبـيّاً لئيـمــاً بــاخــلاً شــرهــاً
لـكن تـقـيّــاً، نـقـيّــاً، سـيّــد الـكُــرَمــا
تعفــو عن الجاهــل الجــاني وتــرحمــه
وتـكثــر الـعــدل والإنصــاف لـلخصـمــا
مــا زلـت تـغـضـب فــي ذات الإلــه ولـم
تـكن لـنفســك يــا ذا الحـلم مـنـتـقـمــا
فــأنــت حَـبْــر هــدى أحــيــا الإلــه بــه
مـن ديـنــه ســنــنــاً أمــاتــه الــنـشــمــا
فـي رأس سبــع مئين كـنـت قــد وجـبـت
لــك الإمــامــة يــا خــلاصــة الــعـلمــا
وكــل شــيء بــه جُــلّ الــورى هــلكــوا
فـشيـخـنــا ذو الـتّـقـى مـن شــرّه سـلمــا
وكــل وصــف كــمــال فــي نــظائــره
لــه خـصــائصــه لا تـقـتـضي الـعــدمــا

كـــان الــمبـــرز فـي كـــل الــعـلوم، وقـــد
أضـحت لــه في ذرى أسنــانـهــا عـلـمــا
وكـــان حـــاوي صفـــات الخيـــر أجمعهـــا
قـــد جلّ في كـــل حـــالات التّقى قـــدمـــا
لـــمـــا أراد عِـــداه دحـــضــه دُحـــضـــوا
وزاده الله عـــزّاً دائـــمــاً، وســـمـــا
أضـــحـــت عـــوائـــده تـــبـــدي فـــوائـــده
عـلى مـــوائـــده فـي حـضـــرة الــحـكـمـــا
فـهـــو التـقـــوى بـــه أهـــل التـقـى ألـفـــوا
وأبـعـــد الله عـنـــه الــمـجـــرم الــزنـــمـــا
وهْـــو الـمحـــك الـــذي بـــان الـعبـــاد بـــه
عـــرض بـذكـــراه مـدحـــاً وانـــظـر السيمـــا
تـــرى العفـــويّ حـــزينـــاً ثم، منقبضـــاً
وتـنـــظر الــمـتّـقي قـــد ســـرّ مـبـتـســمـــا
فـحـبـــه نـعـمـــة فـــاز الـــسـعـــيـــد بـهـــا
وبـغـضـــه نـقـمـــة بـهـــا الـشـقـي وُسِـمـــا
فـــالحمـد لله، أهـــل الحمـــد، خـــالقنـــا
كم قـــد أفـــاض علينـــا في الـــورى نِعَمـــا
عـــافـى القـلوب من الأسقـــام أجمـعـهـــا
وعـــمّ بـــالـجـــود مَـــن وفّـى ومَـــن ظـلمـــا
كـــم أفـــرجـت كـــربـــة عـــنّـــا بـمـــنّـتـــه
وكـــم أعـــان وكـــم عـــفـى وكـــم رحـــمـــا

لا يُـرتـجى غـيـره فـي رفـع نـازلـة
يبقى الهـدى عنك والإحسـان منصـرمـا
ولا تـكـن بـسـواه عـنـه مـشـتـغـلا
لـكي تـنـال التـقـى والـفـوز والـكـرمـا
وكـن مـحـبّـاً لـه سـاعٍ بـطاعـتـه
فـالسعي في غيـر هـذا يـورث النـدمـا

رحم الله ابن تيمية شيخ الإسلام ورضي عنه وأسكنه فسيح جنّاته.

تمّ بحمد الله تعالى وعونه وحُسْن توفيقه وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم...

ثبت المراجع

حرف الألف:

١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

٣ - العقود الدريّة.

٤ - الكواكب الدريّة.

٥ - الردّ الوافي.

٦ - الوابل الصيّب.

٧ - إغاثة اللهفان.

٨ - البداية والنهاية.

٩ - الحسنة والسيئة.

١٠ - اللّبـــاب.

١١ - العبر في تاريخ مَن عبر.

١٢ - الرسالة المستطرفة.

١٣ - النجوم الزاهرة.

١٤ - أسد الغابة.

حرف التاء:

١٥ - تاريخ الخلفاء.

١٦ ـ تاريخ قزوين.
١٧ ـ تاريخ بغداد.
١٨ ـ تذكرة الحفّاظ.
١٩ ـ تهذيب الأسماء.
٢٠ ـ تهذيب التهذيب.

حرف الجيم:
٢١ ـ جلاء العينين.

حرف الحاء:
٢٢ ـ حياة أحمد بن حنبل، للشيخ أبو زهرة.
٢٣ ـ حلية الأولياء.

حرف الخاء:
٢٤ ـ خلاف الأمة في العبادات.

حرف الراء:
٢٥ ـ ربّانية لا رهبانية.

حرف السين:
٢٦ ـ سنن أبي داود.
٢٧ ـ سنن ابن ماجه.
٢٨ ـ سنن الدارمي.
٢٩ ـ سنن الترمذي.
٣٠ ـ سنن النسائي.

حرف الشين:
٣١ ـ شذرات الذهب.

حرف الصاد:
٣٢ ـ صحيح البخاري.
٣٣ ـ صحيح مسلم.

حرف الطاء:
٣٤ ـ طبقات الشافعية.
٣٥ ـ طبقات الحفّاظ.
٣٦ ـ طبقات الشيرازي.

حرف الميم:
٣٧ ـ مناقب ابن تيمية.
٣٨ ـ مسند أحمد.
٣٩ ـ مدارج السالكين.
٤٠ ـ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية.

فهرس الكتاب

تمّ فهرس الكتاب بحمد الله